مجلة منتدى التوحيد

www.eltwhed.com

إشكاليات العقل في الإلحاد الجزء الثاني

بقلم الأستاذ عبد الواحد

هل العلمانيةُ حتمية؟

بقلم د. أحمد إدريس الطعان

سمكةٌ تاريخيةٌ تهربُ من الماء.. !!!

بقلم الأستاذ أبي الفداء

لا أعلم هويتي الجزء الأول

بقلم د. حسام الدين حامد

المرأة الملحدة.. قصة مأساة!!

بقلم أميرة الجلباب

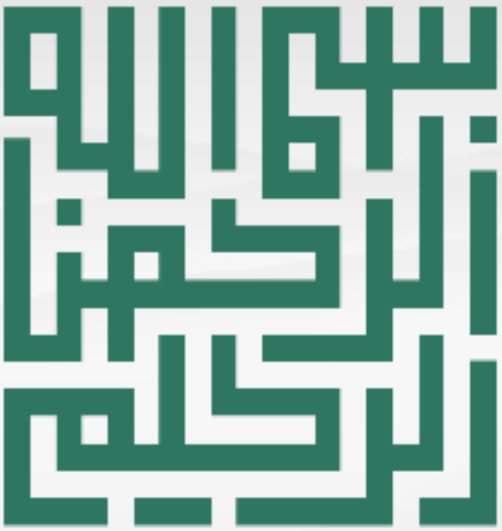

محتويات العدد

أسس التعامل مع القرآن الكريم	١
(١) أحكام التجويد	٢
(٢) أحكام التجويد	٣
(٣) أحكام التجويد	٤
(٤) أحكام التجويد	٥
(٥) !! أحكام النون والميم .. أحكام المد	٦
أحكام الوقف والابتداء !!! .. أحكام الميم	٧
(٦) أحكام الميم	٨
أحكام الراء واللام لفظ الجلالة	٩
(٧) أحكام المد والقصر أحكام الهمزتين من كلمتين	١٠
(٨) أحكام الهمزة المفردة	١١
(٩) أحكام الإدغام	١٢
(١٠) "أحكام الإظهار والإدغام" أحكام الإقلاب	١٣

مجلة منتدى التوحيد

مجلة دورية تصدر كل شهر

تأسست عام

١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م

تصدر عن موقع

منتدى التوحيد

www.eltwhed.com

العدد الخامس

ربيع الثاني ١٤٣٠ هـ

فريق التحرير

مراقب ٢

muslimah

قرآن الفجر

فريق التصميم

أبو عمر الأنصاري

هاني

المراسلات

altwhed_com@yahoo.com

مُقَدِّمَةُ العَدَدِ

إن الحصيلة المعرفية لدى الإنسان لها أثر كبير في تصوراته ومعتقداته وأحكامه صحة وبطلانا، فبقدر ما تكون حصيلته المعرفية مكتملة الأسس، سليمة البنيان، منتظمة العلاقات، تكون صحة تصوراته وتصديقاته، وبقدر ما تكون حصيلته المعرفية ناقصة الأسس، مهدمة البنيان، مقطعة الأوصال، يكون بطلان تصوراته وتصديقاته، وهذه العلاقة ترينا أهمية معرفة الإنسان لنوعية وكمية حصيلته المعرفية قبل الحكم على المعارف الجديدة عليه بالصحة أو البطلان، وعندما يعمى الإنسان عن معرفة قدر معرفته وحالها لا نستغرب منه أن يكون غِرًّا يصدق كل ما يقال له، أو أن يكون معاندا يُكذب كل ما يسمعه ويستنكر ما قصرت معرفته عن إدراكه.

وإن أقل ما يتطلب توفره من الحصيلة المعرفية للإنسان عند بحثه ونقاشه لقضية ما أن يكون مدركا إدراكا صحيحا لما يتعلق بموضوع البحث ومنهجية دراسته، فلو كان البحث لغويا وكان الباحث لا يحسن علوم اللغة المرتبطة ببحثه، فلن يكون غريبا أن يؤدي به ضعف إدراكه لموضوع البحث اللغوي ومنهجية دراسته إلى تصورات وأحكام خاطئة تعد من عجائب الجهالات التي هي مخازٍ لأصحابها المصرين عليها عنادا ولجاجا وجهلا كما هو حال الجاهل المعاند الذي يزيد عنادا كلما زاد محاوره علما ومعرفة وأدبا. وكذلك الأمر في سائر العلوم والمعارف عندما يقتحمها الفارغون من العلم والمنهجية فيبنون تصوراتهم وأحكامهم على عندياتهم، وما هذه العنديات إلا أهواءهم وتصوراتهم الفاسدة، ثم تتحول عنادياتهم هذه إلى عناديات جدلية ليس لها أول ولا لها آخر إلا تضييع الأعمار مع سفاهة الأغمار، فكيف إذا كان موضوع البحث عقديا؟! فحينها يكون استيفاء البحث حقه أولى وأجدر بالاهتمام وإلا أدى القصور المعرفي والخلل المنهجي إلى ضلال عريض وفساد كبير في الأرض، ويستوي في ذلك ضلال الوثنيين وضلال الملحدين فكل ذلك ضلال مؤدٍ إلى الفتنة والفساد في الاعتقاد والسلوك.

وكثيرا ما يجني الضعف المعرفي والمنهجي على أهله، فيكون سببا لإحراجهم في مجالس الحوار فضلا عن ميادين الجدل والمناظرة، وهذا الإحراج الذي يسببونه لأنفسهم كثيرا ما يتحول إلى مانع لهم من الرجوع عن الخطأ، فيدفعهم إلى العناد واللجاج، مما

يطيل النقاش والحوار في غير طائل، ولا شك أن هذا السلوك غير محمود بحال من الأحوال، فكيف إذا كان في قضية القضايا وأعرف المعارف ألا وهي توحيد الله عزَّ وجل واتّباع الدين الحق؟! فإن كان الجدل في بعض القضايا ترفا من الترف فإن الأمر ليس كذلك في أصل الوجود وغايته ونظامه الذي عليه تبنى المعرفة والسلوك والقيم والنظم، وإذا كان جميع ذلك ترفا فليس في الكون جدٌ أبدا، وهذا باطل يدحضه القرآن بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [ďě-ďĚ :LJ℅Pþ!ſ]

ولهذا نجد الإسلام يأمر البشرية بالنظر والتفكر والتدبر في الكون والإنسان والحياة لاكتناه أسرارها، وإدراك علاقاتها، وينبههم إلى وسائل المعرفة وطرقها، ويؤكد على مناقشة الدعاوى والمطالبة بالبراهين، ويوجه الأسئلة التي تحمل في طياتها الحقائق البرهانية التي لا يملك الفكر السليم إلا الاعتراف بها والتسليم بصدقها، وهذه ميزة عظيمة تميز بها الإسلام عن سائر الأديان المحرفة والوثنية، وهي ميزة يجهلها بعض الملاحدة الغربيين الذين نصبوا أنفسهم أربابا للمعرفة حتى حشر أحدهم الإسلام مع جميع الأديان في عدم الأمر بالتفكر في الكون، جاهلا أو متجاهلا فرض الإسلام للتفكر في الكون على كل إنسان، حيث يقول تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ [ĎČ :KĂ℔♯Ŀ⁄ſ]، وكقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [čĒ-čđ :ΘĂĿ]، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [čČč :ΣŀĂđ]، وغيرها من الآيات التي تحض على التأمل والتفكر في الكون والنفس، وأما الآيات القرآنية التي تَعرض الآيات الكونية والنفسية وتنبه عليها فهي كثيرة جدا، فكيف يقال أن الإسلام كبقية الأديان لا يأمر بالتأمل في الكون والنظر فيه؟! إن هذا لحيف وظلم من هؤلاء الملاحدة إلا أنه غير مستغرب منهم، فقد جعل أحدهم نقده للنصرانية الباطلة شاملا للإسلام بزعمه أن هناك وجوه شبه بينهما تلغي أثر الفروق بين الإسلام والنصرانية! وهذا خلل كبير في منهجية البحث والمعرفة أدى بقائله إلى التسوية بين المختلفات وهو نوع من أنواع الظلم الذي لا يخلو من الجهل أيضا، وما أكثر وقوع ملاحدة الغرب في هذا رغم سقوط حاجز اللغة بينهم وبين الإسلام بعد اتساع حركة الترجمة في عالمنا اليوم، ولكنه كما قلنا ضعْف الحصيلة المعرفية وفساد المنهجية البحثية في دراسة الإسلام ومقارنته بغيره من الأديان.

فللباحثين عن الهدى والصادقين في طلبه نقول: إن النتائج الصحيحة ثمرةُ المقدمات الصحيحة المتلازمة، فتحققوا من معرفتكم بموضوع البحث والنقاش أولا، فإن النقاش المبني على الجهل لا يقود إلا إلى جهل مثله أو أعظم منه، وتحققوا من منهجية البحث لديكم فإن الانحراف في التفكير والبحث يقود إلى الانحراف في الاعتقاد والسلوك، ولا يغرنّ أحدَكم أنه قرأ بعض الكتب التي لم يحط بعلمها ولم يعرف صوابها من خطأها فيجعلَ نفسه حَكما على كل معرفة وإن كان أجهل الناس بها! أو أن تسولَ له نفسه أنه أهل للمناظرة والمحاورة مع كل أحد وفي كل قضية!! لا سيما من يجادل في الحقائق الإسلامية بجهله العريض وفهمه السقيم وليس له عدة للجدال إلا العناد والصلف ورفع الصوت حتى ينفض الناس عنه! وما ذلك إلا لسوء فهمه وسوء قصده وجهله بجهله، ومن ساءت نيته عظُمت بليته، ومن جهِل نفسَه جهل غيره، وأعدى عدو للجاهل جهله، فإذا لم يسأل سؤال المسترشد ويسمع سماع المتدبر فلا حيلة في تفهيمه وعلاجه، فإن الدواء النافع قد يصادف محلا غير قابل، فكذلك الهدى النافع قد يصادف محلا غير قابل له لا لفساد في الهدى وإنما لفساد في المحل وخُبث فيه.

فلينظر كل من يتقحم الكلام في الإسلام وهو جاهل به متخبط في فهمه، لم يُوفّه حقه من الدراسة، ولم يبذل له من وقته ما يعينه على معرفته، كيف له أن يثق بتصوراته المتوهمة وأحكامه الظالمة وهو متيقن من تقصيره هذا؟ وهل مجرد قراءة صفحات عن الإسلام من كتابات أعدائه يُكوّن في القارئ معرفة صحيحة بحقيقة الإسلام تؤهله للحديث عنه فضلا عن إصدار الأحكام المجلجلة في شأنه؟! فترفقوا بأنفسكم، وأقبِلوا بقلوب واعية على مصادر الإسلام الصحيحة وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة بعيدا عن أفهام أعاجم المستشرقين المعوجة، وإنما بفهم أتباع هذا الدين الحق أهل السنة والأثر السالمين من تحريف المؤولين وإحداث المبتدعين، وستجدون الفهم الصحيح الذي يتوافق فيه العقل مع النقل، وسيظهر لكم عدم التعارض بين الحقائق الشرعية والحقائق الكونية، وستنكشف لكم شبهات أعداء الإسلام فإذا بها سراب لا حقيقة له، وستشرق عليكم شمس الحقيقة التي تدركها البصائر السليمة وإن رمدت عيون الكافرين، فأقبلوا على الحق بصدق تجدوه، ومن أبى إلا التقصير في بحثه والبقاء على جهله ثم طلب الحوار والجدل فلا يلومن إلا نفسه إن أوقعه جهله في المهالك والمخازي في الدنيا والآخرة، عياذا بالله من ذلك.

رحمة للعالمين

بقلم الأستاذ ياسر جابر

عاشت أوروبا قبل الميلاد وقبل وصول النصرانية إليها تؤمن بتعدد الآلهة، وذلك بوجود إله كامل تام له السيطرة والرئاسة على باقي الآلهة أو بدون وجوده، ولا يخلو التراث الديني الأوروبي من وجود صراع بين الإله فلان إله أمر ما، وإله آخر من أجل عَرض من الأعراض أو غرض من الأغراض.

كتب "**ول ديورانت**" في موسوعة "**قصة الحضارة**" عن آلهة أوروبا ما يلي :

> في وسعنا أن نلقي شيئا من الترتيب والوضوح على هذا الحشد الكبير من الآلهة إذا نحن قسمناه تقسيما مصطنعا إلى سبع مجموعات: آلهة السماء، وآلهة الأرض، وآلهة الخصب، والآلهة الحيوانية، وآلهة ما تحت الأرض وآلهة الأسلاف أو الأبطال، والآلهة الأولمبية. وأما "أسمائها جميعا فمما يشق على الإنسان ذكرها" كما يقول هزيود [ج].

وأضاف:

> وكان أعظم هذه الآلهة الأرضية هو (زيوس) الأرضي؛ وزيوس هنا اسم نكرة لا يعني أكثر من إله. وكان يسمى أحيانا (زيوس ميلكيوس) أي : زيوس الخيّر؛ ولكن الوصف هنا أيضا وصف خادع يقصد به استرضاء هذا الإله الذي كان يصور بصورة أفعى رهيبة !. وكان أخ زيوس هو (هاديز) ربُّ ما تحت الأرض التي أخذت اسمه. وأراد اليونان أن يسكنوا غضبه فسموه (بلوتو) أي واهب الوفرة، لأنه كان في مقدوره أن يبارك أو يبيد جذورَ كلِّ ما ينبت على سطح الأرض. وكانت أشدَّ

من بلوتو روعة ورهبة الإلهةُ (هكتي)، وهي روح خبيثة تخرج من العالم السفلي وتسبب البؤس والشقاء بعينها الحاسدة الشريرة لكل من تزوره من الخلائق...وكانت عبادة الأبطال امتدادا لعبادة الموتى؛ فكان في وسع الآلهة أن تهَب العظيم أو الشريف، أو الرجل الجميل أو المرأة الجميلة الحياةَ الخالدة فتجعلَه أو تجعلها من بين الآلهة الصغرى. وكذلك كان سكان أولمبيا يقربون القرابين في كل عام إلى (هبوداميا) ؛ وكانت (كسندرا) تعبد في لوكترا اللكونية، و(هلن) في إسبارطة، و(أوديب) في كولونوس، وكان يحدث أحيانا أن ينزل الإله ويتقمص جسم إنسان، فيستحيل هذا الإنسان إلها، وقد يتصل الإله جنسيا مع امرأة من الآدميين فتلد بطلا-إلها كما فعل زيوس مع (أكمينا) فولدت هرقل [Ď].

كذلك آمن أهل الشرق الأقصى وأهل فارس والشام ومصر بتعدد الآلهة وصراعهم وخداعهم بعضهم البعض من أجل أعراض الدنيا أو كتضحية من بعضهم من أجل قيمة يتم وهبها.

كتب "**ول ديورانت**" في موسوعة "**قصة الحضارة**":

إن "شيفا" ليطرب راقصا إذا ما سمع نغمة العالم فأدرك منها عالما لا يفني يتكون وينحل ويعود إلى التكون من جديد. ولكن كما أن الموت عقوبة الولادة، فكذلك الولادة تخييب لرجاء الموت؛ فالإله نفسه الذي يرمز للتدمير، يمثل كذلك للعقل الهندي تلك الدفعة الجارفة نحو التناسل الذي يتغلب على موت الفرد باستمرار الجنس ؛ وهذه الحيوية الخلاقة الناسلة (شاكتي) التي يبديها شيفا – أو الطبيعة – تتمثل في بعض الجهات وخصوصا في البنغال في صورة زوجة شيفا، واسمها (كالي) (بارفاتي، أو أوما أو درجا) وهي موضع عبادة في عقيدة من العقائد الكثيرة التي تأخذ بمذهب "الشاكتي" هذا؛ ولقد كانت هذه العبادة –حتى القرن الماضي– وحشية الطقوس، كثيرا ما تتضمن في شعائرها تضحية بشرية، لكن الآلهة اكتفت بعدئذ بضحايا الماعز ؛ وهذه الآلهة صورتها عند عامة الناس شبح أسود بفم مفغور ولسان متدل، تزدان بالأفاعي وترقص على جثة ميتة، ووجهها وثدياها تلطخها الدماء، ومن أيديها الأربعة يدان تحملان سيفا ورأسا مبتورا، وأما اليدان الأخريان فممدودتان رحمة وحماية ؛ لأن (كالي – بارفالي) هي كذلك إله

الأمومة كما أنها عروس الدمار والموت؛ وفي وسعها أن تكون رقيقة الحاشية كما في وسعها أن تكون قاسية، وفي مقدورها أن تبسم كما في مقدورها أن تقتل ولعلها كانت ذات يوم إلهة أمًّا في سومر، ومن ثم جاءت إلى الهند قبل أن تتخذ هذا الجانب البشع من جانبيها، ولاشك أنها هي وزوجها قد اتخذا أبشع صورة ممكنة لكي يلقيا الرعب في نفوس الرعاديد من عبادهما فيحتشموا، أو قد تكون هذه البشاعة كلها قد أريد بها أن يلقى الرعب في نفوس العباد فيجودوا بالعطاء للكهنة، تلك هي أعظم آلهة الهندوسيين، لكنا لم نذكر إلا خمسة من ثلاثين مليونا من الآلهة تزدحم بها مقبرة العظماء في الهند ولو أحصينا أسماء هاتيك الآلهة لاقتضى ذلك مائة مجلد [d].

وقد كتب **ول ديورانت** عن الآلهة في مصر القديمة ما يلي:

ولم يكن آلهة مصر من الآدميين إلا رجالا متفوقين أو نساءً متفوقات خلقوا في صور عظيمة باسلة، ولكنهم خلقوا من عظام وعضلات ولحم ودم؛ يجوعون ويأكلون، ويظمأون ويشربون، ويحبون ويتزوجون، ويكرهون ويقتلون، ويشيخون ويموتون، شأنهم في هذا شأن آلهة اليونان سواء بسواء. من ذلك أن (أوزير) إله النيل المبارك كان يحتفل بموته ولقبه في كل عام، وكان يرمز بموته وبعثه لانخفاض النيل وارتفاعه، ولعلهما كانا يرمزان أيضا لموات الأرض وحياتها. وكان في مقدور كل مصري في عهد الأسر المتأخرة أن يقص كيف غضب ست (أوسيت) إله الجفاف الخبيث الذي أيبس الزرع بأنفاسه المحرقة، كيف غضب هذا الإله الخبيث من أوزير (النيل) لأنه يزيد (بفيضه) من خصب الأرض؛ فقتله وحكم بجفافه الجبار في مملكة أوزير. (ويقصدون بهذا أن النهر لم يرتفع ماؤه في سنة من السنين)، وظل الأمر كذلك حتى قام حورس الباسل ابن إيزيس فغلب ست ونفاه من الأرض. وعاد أوزير بعدئذ إلى الحياة بفضل ما في حب إيزيس من حرارة، وحكم مصر حكما صالحا، وحرم أكل لحم الآدميين ونشر لواء الحضارة، ثم صعد إلى السماء ليحكم فيها ويكون إلها [Ð].

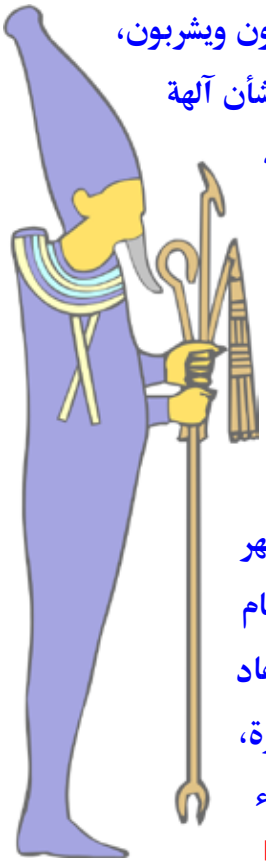

وعند الحديث عن فارس وما بها من اعتقادات، كتب **ول ديورانت**:

وكان أكبر الآلهة في الدين السابق للدين الزردشتي (مثرا) إله الشمس، و(أنيتا) إلهة الخصب والأرض، و(هوما) الثور المقدس الذي مات ثم بعث حيا، ووهب الجنس البشري دمه شرابا ليسبغ عليه نعمة الخلود [d].

أما بالنسبة لليابان واعتقادهم الذي نشأوا عليه ولا تزال الغالبية تدين به فقد كتب **ول ديورانت**:

في البداية كانت الآلهة، هكذا يقول أقدم ما دون عن اليابان من تاريخ، وكانت الآلهة تولد ذكرا وأنثى، ثم تموت، حتى صدر الأمر في النهاية من شيوخ الآلهة إلى اثنين منها هما (إيزاناجى) و (إيزانامى) – وهما أخ وأخت من الآلهة – أن يخلقا اليابان، فوقفا على جسر السماء العائم، وقذفا في المحيط برمح مرصع بالجوهر، ثم رفعاه إلى السماء فتقطرت من الرمح قطرات أصبحت هي (الجزر المقدسة)؛ وشهدت الآلهة ما تصنعه الضفادع في الماء، فتعلمت منها سر اتصال الذكر بالأنثى، ومن ثم التقى (إيزاناجى) و (إيزانامى) التقاء الزوجين وأنسلا الجنس الياباني، وولدت (أماتيراسو)– إلهة الشمس – من عين (إيزاناجى) اليسرى، وكذلك من حفيدها (ننيجى) نشأت سلسلة متصلة مقدسة حلقاتها هم كل أباطرة (دي نيبون) (أي اليابان العظمى) [E].

بعد المسيح عليه السلام نشأت خلافات بين أتباعه ومحبيه واختلفت معتقداتهم وتنوعت، فمنهم من آمن بأن عيسى عليه السلام رسول بشر من عند الله لا غير، ومنهم من نسبوا إليه شيئا من الإلهية، ومنهم من زعم أن عيسى عليه السلام إله حقيقي ولكنه مستقل عن الله ذاته، ومنهم من نادى بـ"الثالوث"، ومنهم من زعم أن مريم عليها السلام "إله" أيضا، ومنهم من اعتقد بوجود إلهين أحدهما صالح والآخر شرير.

في ذلك الوقت لم يكن لأي من هذه الجماعات القوة الكافية للهيمنة التامة وإسكات الآخرين للأبد، فكانت كل طائفة بحاجة إلى حليف قوي يستطيع أن يجبر الطوائف الأخرى على الخضوع، فبدؤوا يتطلعون إلى الإمبراطورية الرومانية لتقديم العون.

وكانت الإمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت دولة وثنية، تؤمن بتعدد الآلهة وصراعهم وبالإله الذي يضحي بنفسه ليخلص البشرية التي أحبها، كما تؤمن ببشرية الآلهة وتجسدها وولادتها واختلاطها مع البشر وغيرها من اعتقادات كانت هي الأساس الفكري للنصرانية كما أقرتها المجامع في القرن الرابع الميلادي.

وقد كانت الإمبراطورية الرومانية "القوة العظمى" بلا منازع، وكان الإمبراطور الروماني قلقا من تزايد صفوف المواطنين النصارى والاختلافات بينهم التي تهدد الاستقرار في إمبراطوريته.

عندما عرضت الفرق النصرانية المختلفة اعتقادها على الأمبراطور ليختار دينا لنفسه أو دينا للدولة يجمع صفوفها ويمنع الفرقة بين جنوده وشعبه، كان أقرب إلى قلبه وعقله ما نشأ عليه من الإله الفادي والتضحية وتجسد الإله من أجل الخطيئة وحب الإله للبشرية الذي دفعه أن يتجسد في إنسان يضربونه على قفاه ويصفعونه على وجهه ويبصقون عليه ويصلبونه من أجل خطيئة آدم أول البشر الذي أكل من التفاحة المحرمة !.

بذلك تمكن أتباع الثالوث من استمالة الإمبراطور الذي قام بترؤس مجمع نيقية الذي أقر ألوهية المسيح عام ٣٢٥ ميلادية، ونتيجة لكسبهم الغلبة وحصولهم على السلطة أزالوا الموحدين -المؤمنين بأن المسيح عليه السلام بشر ورسول من الله- من على وجه الأرض فلم يبق منهم إلا بقية ضعيفة منطوية.

أما بالنسبة للشعب الروماني واليوناني، فقد كان من اليسير عليهم تقبل عقيدة الثالوث وتعدد الآلهة في إله واحد نتيجة للموروث الثقافي والديني عندهم.

فاعتقدوا أن :

الأب : إله خالقُ الكل ولكنه ليس هو المسيح وليس هو الروح القدس.

الابـن : إله ولكنه ليس هو الأب وليس هو الـروح القدس.

الروح القدس : إله كامل ولكنه ليس هو الأب وليس هو المسيح.

الـثـلاثـة : هـم إلــه كـامـل واحــد ولـيـسـوا ثـلاثـة آلهة.

وبالرغم من خلو كتب النصارى من هذه العقيدة التي أُقرت في القرن الرابع، وبالرغم من عدم فهمهم لها، إلا أنهم يعتقدونها ويدافعون عنها كما لو كانت وحيا منزلا، لا يختلفون في ذلك عن دفاع أتباع الإله (شيفا) عنه وعن زوجته الإله (كالي)!!.

بذلك انتشرت النصرانية والوثنية في كل أرجاء العالم وأصبح المعتقد الديني مؤسسا على إلغاء العقل، ومنفصلا تمام الانفصال عن جوانب الحياة العملية.

وأصبحت الخرافات والروايات البعيدة عن العقل، هي السند الرئيس للاعتقاد. وأصبح البديل عن الدين هو الإلحاد أو اللادين.

هكذا كان العالم، وهكذا كانت الاعتقادات والخرافات، وإن كان بعضها لا يزال قائما معتمدا على انصراف أهله عن الدليل ولجوئهم للخرافة أو ممارستهم لطقوسهم باعتبارها واجبا اجتماعيا تمليه عليهم نشأتهم وتربيتهم وصحبتهم في مجتمعاتهم بلا إيمان بصحة وصدق هذا الاعتقاد.

هكذا كان العالم حتى جاء نور الإسلام، فأخرج كثيرا من الناس من ظلمات شيفا وكالي وبولس وحورس ويكتي، إلى نور الله تعالى.

جاء الإسلام بأدلة ساطعة أنه الحق من فاطر السماء والأرض.

جاء الإسلام بمنهج يجمع بين النقل والعقل، وبين العلم والعمل، وبين الإيمان والعمل، وبين النص والحكم..

جاء شاملا يبين صفات الله تعالى التي ضل فيها من ضل.

جاء شاملا ليبين أصول عبادة الله تعالى، بأسوة حسنة متمثلة في سيرة نبيها الأمين.

جاء ليشمل كل أمور الحياة من إيمان وعمل ومعاملات وتشريعات.

جاء شاملا ليسع الآخرة والدنيا فلا رهبانية ولا كهنوت ولا إسراف في دنيا فانية.

جاء بالحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

قال الله تعالى :

فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ

[d'Ď : Σ↓Ăő]

حقا لقد جاء نبينا عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين.

هوامش المقال:

[١] قصة الحضارة، مج٢، ج١، ص ٣٢١.

[٢] مصدر سابق، مج٢، ج١، ص ٣٢٦-٣٢٩ مع إعادة ترجمة بعض العبارات.

[٣] مصدر سابق، مج١، ج٣ ص ٢٠٦-٢٠٧

[٤] مصدر سابق، مج١،ج٢ ص ١٥٩

[٥] مج١، ج٢، ص ٤٢٥

[٦] مصدر سابق، مج١، ص ١٤١٤-١٤١٥

إشكالية العقل في الإلحاد 2

بقلم الأستاذ عبد الواحد

إن وعيَ الإنسان بهويته باعتباره كيانا واحدا هو من أقوى الأدلة على أن وعيه يستحيلُ أن ينتهيَ إلى شيء مادي، فالدماغ هو مجتمعٌ متعدد الخلايا العصبية التي يناهز عددُها المائة بليون خلية، والبحثُ عن تفسير لكيفية وعينا سيقود في أحسن الأحوال إلى اكتشاف سلوكٍ عصبيٍ أو إفرازٍ كيميائيٍ جديد لن يحل المشكلة بل سيزيد البون بين تعدد الظواهر والكيانات المادية من جهة وبين وحدة هويتنا من جهة أخرى. هذه المفارقةُ تشبه إلى حد ما التفسيرَ المادي للذكاء والذي يقود إلى تناقض بين وحدة الهدف الذي يحدده الكائن الذكي - مثل حل مسألة رياضية - وبين تعدد الخلايا العاملة التي لا تعي الهدفَ الكلي للمهمة المُراد تحقيقها. أما تفسير الوعي مادياً فيقود إلى تناقض أكبرَ لأن الحديث ليس عن وحدة الهدف المؤقت بل عن وحدة وسيرورة الهوية الإنسانية ذاتها. تلك الحقيقة من أوضح الآيات التي يشهد بها الإنسان على نفسه, لكن متى أدرك الملحد أنها حقيقةً تهدم فكره المادي فلن يعدم حينها الحجج لإنكار أيةِ آيةٍ مهما كانت.

هل هناك آيةٌ يمكن أن تُلزم الكافر وتجبرَه على قبول الحق؟

قال تعالى في سورة الحجر:

تلك إذن نفسيةُ الكافر التي لا تعدم الأعذار لإنكار ما أدركتْه حواسه ما دام الأمر يتعلق بآية لا توافق هواه. أما الملحد اليومَ فقد بلغ إنكارُه درجة تهدم كل حقيقة ممكنة، فهو لا يدعي فقط أن وعيه يمكن أن يُخدع بعامل خارجي بل يدعي أيضاً أن إحساسه الداخليَّ بوحدة هويته ما هي إلا خدعة، أو كما قال كبير الملاحدة في العصر الحديث الفيلسوف **"دانيال دينيت" Daniel Dennett** صاحب كتاب **Consciousness Explained** قال أن الوعي بوحدة هويته توَهمٌ متقن **(elaborate illusion)** وهو مضطر إلى هذا القول حتى يبرر التناقض الواضح بين تعدد الخلايا والنشاطات الدماغية المتباينة من جهة وبين ما يمثلُه الوعي من وحدة هوية الشخص من جهة أخرى. ولم يجد حلاً للخروج من هذا المأزق سوى الكذب على نفسه وإنكار أكثر آيات الله بداهة. وقد ذكر علام الغيوب هذه الحقيقة في قوله تعالى في سورة يونس:

﴿ كُلُّ آيَةٍ ﴾ دون استثناء سينكرها من ﴿ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ ما دامت لا توافق أهواءهم. ﴿ كُلُّ آيَةٍ ﴾ بما في ذلك وعينا بخصوصيتنا التي تميزنا عن غيرنا.

متى يضطر الكافر إلى قبول آية أنكرها من قبل؟

الجواب في نفس الآية السابقة ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ لن يقول الكافر حينها ﴿ **إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا** ﴾ وعندما يذوق العذاب لن يقول ﴿ **إنما سُحرت جلودنا** ﴾ ولن يقول ﴿ **إنّ وحدة هويته ما هي إلا وهم متقن** ﴾. بل سيتراجع عن كل تلك الحجج ليس لأنه اكتشف فجأة ما بنفسه من آيات بل لأن إنكارَه لم يعد موافقاً لأهوائه. وحتى قبل يوم الحساب سرعان ما يتناسى الملحدُ اختزالَه لإنسانيته في الظواهر المادية عند مناقشته لفكرة خلودِه في النار. بالرغم من ادعائه أنه يناقش فكرة العدل من المنظور الإسلامي، يبقى اعتراضُه خيرَ دليل على كذبه على نفسه لأنه لا معنى للاعتراض على العدل في هذا المقام دون تحديدِ الهوية

التي سيُطبق عليها ذلك العدل. أهي هويةٌ لكيان واحد اسمُه الإنسان أم هي كياناتٌ وخلايا متعددة؟ وباسم أية خلية يشتكي الملحدُ إذا كانت هي نفسها لم تشتكِ بل كل ما فعلته الخلية هو إفرازُ بعض المواد الكيميائية وتمريرُ بعض الشحنات الكهربائية !.

تفسير الوعي مادياً يقود إلى تناقضات دورية

القول بأن "الوعيَ توهُّم وظن أنه وعيٌ" هو منطقياً تناقض دوري لأن الخدعة لا بد لها من مسبب وضحية. فإذا كانت بلايينُ الخلايا العصبية في دماغك خدعتك وجعلتك تتوهم أنك كيان واحد .. فذاك دليل أنها خَدعت ضحيةً لها وجود حقيقي، أما الوهم فليس له وجود حتى يُخدع. فمن هي يا ترى تلك الضحية؟ القول السابق سيسقطنا بالضرورة في تناقض دوري لأننا حددنا الضحية الواحدة التي ندعي أنها تتوهم وِحْدَتها.

قال تعالى:

وقد يوصل الجدلُ صاحبَه إلى درجة التشكيك في كل شيء بما في ذلك التشكيكُ في تمتع مَن حوله من البشر بالوعي. فالإنسان بحجة أنه لا يدرك ما بأنفُس الآخرين يمكنه الادعاءُ أن مَن حوله هم مجرد آلات بيولوجيةٍ تتصرف ظاهريا بطريقة إنسانية. لكن مهما بالغ في جدله فلا يُعقل أن يكذب على نفسه وينكر وعيَه بحقيقة ذاته.

الخدعة يستحيل أن تحدث في عالم مادي صرف

علاوةً على التناقضات المنطقية السابقة، فإن حدوث التوهم من المنظور المادي هو أمر مستحيل. نعم إن الإنسان في واقعنا يمكنه أن يتوهم وجود الماء في الصحراء بمجرد رؤيته للسراب، لكن افتراض حدوثِه في عالم مادي صرف سيقودنا إلى تناقض، ولإثبات ذلك لا بد أولا من تعريف الخدعة، والتي لا يُتصور حدوثُها إلا بوجود آلية تستنتج حقيقة الموصوف من خلال صفات ناقصة يمكنها أن تنطبق على موصوف مغاير. وهذه الآلية لا تعرفها المادةُ الصماء ولا تعرف الاختزال ولا تُخدع بالتعود بل تتبع السلوك الذي اكتملت شروطُه الضرورية والكافية لتحققه طبقا للقوانين الفيزيائية. فالحديد لن يُخدع وينصهر بمجرد توفُّر بعضِ الشروط المتطابقة جزئيا مع الشرط الكافي للانصهار. إذن يستحيل أن تُخدَع المادة لأنها أصلا ليست بحاجة إلى الاستدلال الإرشادي أو ما يسمى بـ"**heuristics**". بخلاف الإنسان الذي يلجأُ إلى هذا النوع من التفكير ليس فقط كوسيلة لحل المشاكل في العلوم التجريبية بل هو سلوك فطري يشمل التعلم من أخطائه والاسترشادَ الذاتي والتخمين للبحث عن نتيجة مقبولة ولو جزئيا دون أن يمتلك الدليل القطعي على صحتها. وهذا أمر

غير ممكن إلا إذا امتلك الإنسانُ القدرةَ على اختزال (الشروط الكافية) في بعض (الشروط الضرورية) التي ستلعب دورا إرشاديا فقط. وعملية الاختزال لا يمكن تمثيلها ماديا إلا كآلية تحكم فقط المعاني دون أن تحكم في أرض الواقع الخواص الفيزيائية التي لا يمكن اختزالها.

الخدعة لا تخرج مسبباتها عما يلي:

١) توهمٌ بسبب تشويهٍ في المعطيات مما يضطر العقلَ إلى إكمال الصورة, وهذا نوع من الاستدلال الإرشادي.

٢) توهم بسبب فشل الدماغ في إعادة تجميع معطيات جزئية صحيحة. مثلاً العين لا يمكنها أن تغطي في لحظة واحدة كل تفاصيل الصورة التالية. لذلك ودون أن ندري ننقل بعض المعطيات الصحيحة بطريقة مجزأةً ونترك للعقل مهمة تجميع الصورة. والسرعة المطلوبة لإتمام العملية تقتضي اللجوءَ للاستدلال الإرشادي واختزالَ بعض التفاصيل والخواص، الأمر الذي يجعلنا نتوهم ولو للحظة أن الخطوط الأفقية غير متوازية.

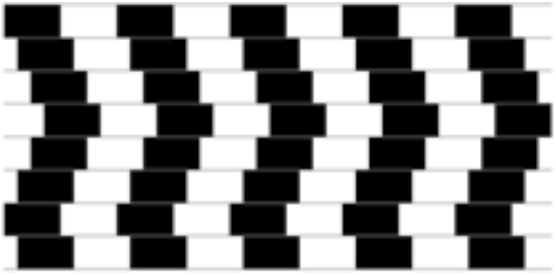

٣) الالتباس: حتى إن تمكن العقل من تجميع كل المعطيات التي وصلته بالطريقة السليمة، أحيانا يلتبس علينا الأمر إذا كانت تلك المعطيات تقبل أكثرَ من احتمال صحيح. وهذا أيضا يُعتبر اختزالا واكتفاء بشرط لا يكفي للوصول حتما إلى النتيجة.

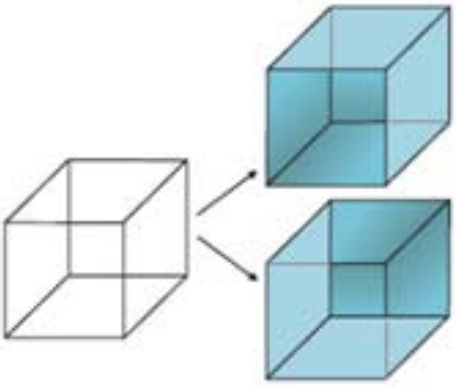

٤) الاستحالة: في هذه الحالة تكون المعطيات الجزئية سليمة لكن يستحيل أن تنتمي مجتمعةً إلى موصوف واحد. مثلاً الشكل التالي أمكن رسمُه في بُعدين لكنه يُمثل شكلا هندسيا مستحيلا في الأبعاد الثلاثة.. ومع ذلك نُخدع ونظن لأول وهلةٍ أنها حالةً ممكنةٌ إذا اكتفينا بالتدقيق في جزء وتسرعنا في الحكم على البقية. أي أننا استنتجنا إمكانية الكل من خلال إمكانية الجزء.

الوعي بالنفس يختلف ويسبق الوعي ببقية الحقائق

عندما تعي وجودَ جبل أمامك، وألمًا في جسدك، ومعادلة رياضية ... فأنت تعي ضمنا سيرورة كيانك الواحد الذي يدرك حقائقَ متعددة وأحداثًا متغيرة في أوقات مختلفة. إن صغار الملاحدة يقرون بذلك دون أن ينتبهوا إلى أن إقرارَهم هذا يتعارض مع إلحادهم. ولم يفكروا في هذا الأمر لأنهم ﴿ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ﴾ ومن الذين تركوا مهمة التفكير لكبرائهم الذين اضطروا إلى القول أن الإحساس بوحدة الهوية وسيرورتَها ما هو إلا خدعة متقنة. لكن إذا كان الوعي يمثل الخديعة نفسَها فكيف له أن يضمن صحة البديهيات التي نعيها؟ في هذه الحالة لن يكون هناك فرق بين الحق والباطل لأن الجهة التي أدركتْهما هي نفسها ثمرةٌ لخديعة متقنة. وهكذا نرى أن ثمن إنكار الروح يقود إلى استحالة وحدة الهوية الإنسانية ويقود إلى تناقضات دورية وإلى هدم المُرتكز الذي بدونه لن نستطيعَ التمييزَ بين الحق والباطل.

إنكارُ الروح بُني على عدة مغالطات

قال الله تعالى:

ولا يمكن للعقل البشري تصورُ الروح فضلا عن تصور محلِّه من الجسد. ومن يؤسس استدلالَه على تصوره الخاص سيسقط في نفس الخطأ الذي سقط فيه "**دانيال دينيت**" والذي يفترض أنه لإنكار وجودِ روح واعية أو أيّ كيان غيرِ مادي ملازم للجسد، يكفيه إنكارُ وجود "المركز الخاص" في الجسد أو ما يسميه "**المسرح الديكارتي**" **Cartesian Theatre** والذي ينتهي إليه الوعي. وسواءٌ وُجد ذلك المركز أو لم يوجد فإن استدلاله بُني على أساس باطل لأنه افترض ضمنا أن وجود الروح يعني بالضرورة تجسدَها في ذلك المركز الخاص, وبالتالي استنتج أن غياب هذا الأخير هو دليلُه على غياب الروح. طبعاً هذا الاستنتاج الفاسد هو نتيجة تخيل الغرب للروح كأنها شبح أو كرةُ ضوءٍ أو نوعٌ من التموّج.. إلى آخر تلك التخيلات التي تسللت إلى أفكار الملاحدة بسبب التصاوير والرسومات التي حرمها الإسلام والتي نجدها في الكنائس خصوصا وفي الثقافة الغربية عموماً.

حاجة الإنسان للوعي وعلاقتُه بحرية الإرادة

عندما يواجهك خطر مفاجئ يقوم جسدك تلقائيا بحركة وقائية قبل أن تعيَ السبب، أما القلبُ فيغير سرعة نبضه حسب الحاجة دون أن نعيَ المعادلاتِ الرياضية التي تربط بين حجم القلب وقوةِ نبضِه وكميةِ الدم المطلوب ضخُّها. كل تلك المهامِّ المعقدة تقوم بها الخلايا العصبية بتلقائية وكفاءة عالية دون إخبارِنا بالتفاصيل. والسؤال البديهي الذي يطرح نفسه هو عن حاجة الظاهرة البيولوجية للوعي؟ أيةَ قيمة إضافية يقدمها وعيُنا الذي لا ترقى كفاءتُه في التعامل مع الأحداث المادية إلى كفاءة أغلب الخلايا العصبية؟ خصص الدكتور "**كريستوف كوخ**" **Christof Koch** - وهو من مؤسسي علم التلازم العصبي- الفصل الرابع عشر من كتابه **The Quest for Consciousness** للحديث عن الميزة التي يمكن أن يضيفها الوعي، إذ يقول ﴿ **أن الوعي هو المُوصل إلى الأغراض العامة وهو وسيلةٌ للتحضير المتعمد لأحداث مستقبلية** ﴾. وبذلك هو يميز ضمنا بين نوعين من القوى المحركة للإنسان والتي تجمع بين القوى الواعيةِ المتعايشة بتناغم تام مع نظام تلقائي لا إرادي.

هل يوجدُ تفسير مادي لتلك القوةِ الواعية المريدة؟

لا يؤمن "**كريستوف كوخ**" بأن تلك القوة الواعية هي الروح، بل يرجح أن تكون هناك نسبة قليلة للغاية من الخلايا العصبية هي التي تقوم بالتخطيط المستقبلي، وأن أثرها ينتقل عبر الشبكة العصبية ليؤثر في سلوك بقية الخلايا الغير واعية، مثل الإدارة العسكرية التي تؤثر في سلوك ملايين الجنود الذين ينفذون آلياً الأوامر. وهذا القول لا يعدو أن يكون تخمينًا من الكاتب؛ لذلك اختار للفصل الرابع عشر عنوان (**بعض التكهنات حول وظيفة الوعي**). وهي تكهنات تقود إلى نفس التناقض السابق بين تعدد الخلايا "الواعية" التي يقترحها الكاتب وبين وحدة الهوية الإنسانية. علاوةً على أن العلم التجريبي يَطال فقط ظواهرَ آليةً تخضع لنظام تلقائي لا إرادي. فلا يمكننا أن ندعيَ علماً بظاهرة مادية دون العلم بقانونٍ يضمن آلية معينة ويضمن نوعًا من التلقائية. وهذا مناقض لظاهرة الحرية والقصدِ المسبق الذي لا يستقيم دون وجود قوة تعي ذلك القصد وتقوم بـ"التحضير المتعمد لأحداث مستقبلية".

لذلك نجد "**بينروز روجر**" **Penrose Roger** الأستاذ في جامعة Oxford يقول أنه علينا البحث عن قوانين جديدة إذا أردنا حل لغز الوعي. وأن القوانينَ الفيزيائية الحالية عاجزةٌ عن التعامل أو تفسير ظاهرة "الحدس الرياضي" خصوصاً، وتفسير "البديهة الإنسانية" عموماً. أما "**جون كارو إكليس**" **John Carew Eccles** الحاصلُ على جائزة نوبل في الطب فقد ادعى في كتابه (**The Self and Its Brain**) أن ﴿ **العلاقة بين الروح والدماغ تخفيها ظاهرة عدم اليقين في**

فيزياء الكم ». وهذا يعني استحالة رصد علاقة الروح بالجسد لأن الطبيعة الفيزيائية للمادة لن تسمح لنا بذلك. إذن كما هو واضح، كلٌ يبحث بطريقته عن تفسير سبب عجزنا عن دراسة الوعي.

أما السؤال عن كيفية تحوُّلِ أثر الإرادة الحرة إلى قوة فيزيائية: فيقول الملحد « **إن كان هناك تأثير متبادل بين الروح والجسد فلا بد من تبادل الطاقة بين المادة واللامادة خلافاً لقانون حفظ الطاقة** ». وهذه المقولةُ أُسست على عدة مغالطات، أولُها أن الروح غيرُ قابلة للتجربة والقياس، علاوة على أن قانون حفظ الطاقة حسب تعريفه الفيزيائي لا يُعتبر إلا في نظام معزول (isolated system)، لكن لا يوجد دليل على أن الكون هو نظام معزول أو مستقل بذاته، وافتراض ذلك يقود إلى إشكاليات يجب على الملحد تفسيرها، مثل وجود قوانينَ فيزيائيةً ثابتة وغير حتمية رياضياً. ولو كان الملحد - جدلاً - يعيش في عالم رقمي في الحاسوب، لقاس الطاقة المحركة للأحداثِ في عالمه بوحدات رقمية، وربما سيدعي أن عالَمه يستحيل أن تؤثر فيه طاقةٌ لها طبيعة أخرى غير التي يعرفها. الشاهد في هذا المثل الكاريكاتوري أنه لا توجد قاعدة منطقية تقول باستحالة تبادل التأثير بين عالمين مختلفين.

هل يمكن للمتلازمات العصبية تفسيرُ الأسباب الضرورية والكافية لظاهرة الوعي؟

إن محاولة دراسة الوعي من المنظور المادي لا تخرج عن محاولة تقصي التلازم والترابط بين الوعي بأمرٍ معين وبين ما يقابلُه من نشاط دماغي دون أن يقدم ذلك تفسيراً حقيقياً لماهية الوعي. لذلك يُطلَق على تلك الدراسة اسم "**المتلازمات العصبية للوعي**" أو **Neural Correlates of Consciousness** اختصاراً NCC. إن **فرانسيس كريك وكريستوف كوخ** وهما من مؤسسي هذا العلم قد استعملوا عبارة "**الارتباط أو التبادل**" **correlation** بدل "السببية" causation للتمييز بين دراسة التوازي والتلازم من جهة وبين ادعاءِ معرفةِ السبب الحقيقي والكامل للوعي من جهة اخرى. فدراسة التلازم في أي مجال يمكنها أن تقود في أحسن الأحوال إلى استنتاج الشرط الضروري وليس الشرط الكافي لتحقق ظاهرة ما. مثلاً حتى ترى شجرة رؤية حقيقة فمن البديهي أن يكون هناك تلازمٌ بين مرور الضوء عبر العين وبين إدراكك لصورة الشجرة، وأقصى ما تفيدُه هذه المعلومة هو أن العين لها دَور لكنه ليس كافيا. وبتتبع الأحداث على مستوى الخلايا العصبية سيُثار نفسُ السؤال السابق لكن هذه المرة عن كيفية إدراكنا للشحنات المنتقلة عبر مجموعة معينة من الخلايا العصبية في الدماغ. وسيستمر الانتقال من تفاصيلَ ماديةً دقيقة إلى أخرى أدقَّ إلى أن نصل إلى المستوى الذري دون أن نحصل على أي جواب حقيقي لماهية الوعي.

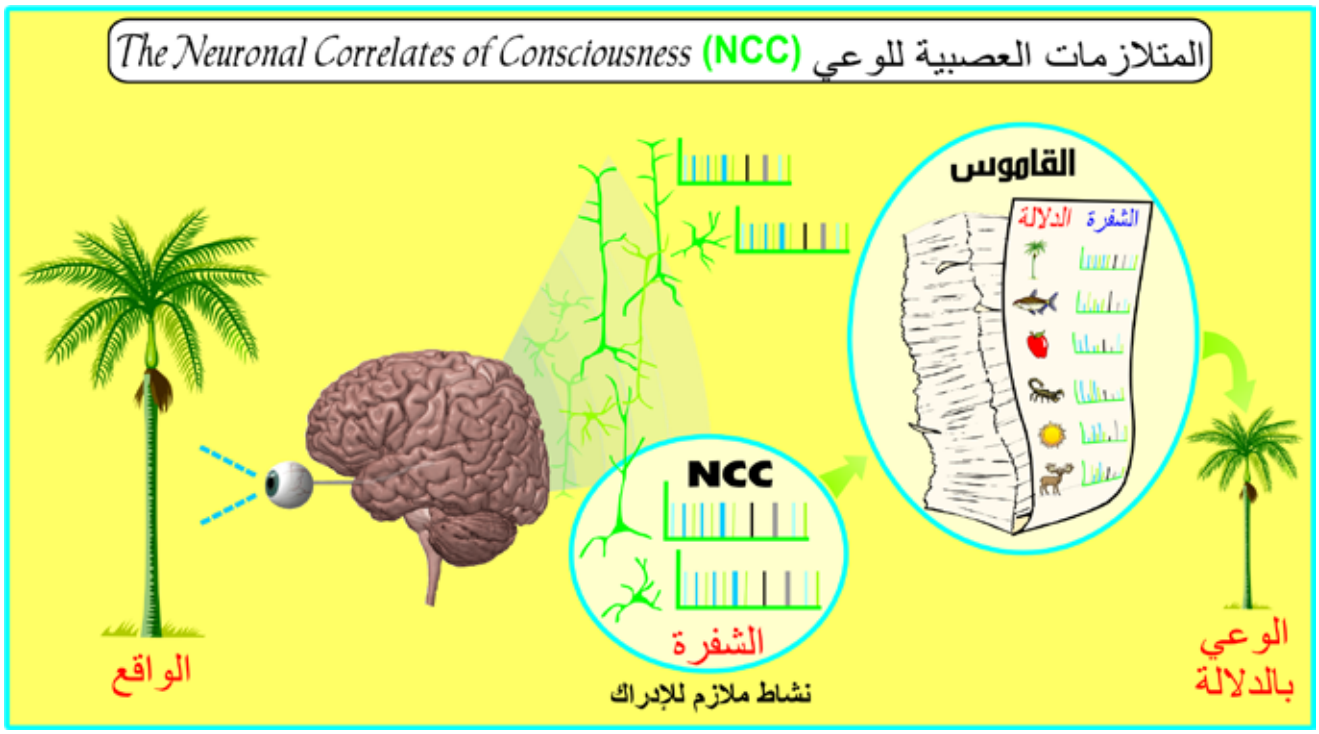

في أي مستوىً يُعتبر التلازمُ كافيا ؟؟

يقول الملحد مغالطاً من يخاطبه أن «**هناك أمراض على مستوى الدماغ تؤثر في الوعي وهذا دليل على أن الوعي لا يخرج عن الظاهرة المادية**». والجواب: نعم هناك أمراض وعوائقُ مادية مثل الخمر والمخدر الطبي، وهذا دليل على أن سلامة الدماغ أمرٌ ضروري لكنه لا يكفي لاكتمال ظاهرة الوعي. تماما كما أن سلامة العين ضروريةٌ لكنها لا تكفي لاكتمال البصر. ولا يوجد فرق مبدئي بين العين والخلية العصبية، بمعنى أنه إذا عطّلْت العين ولم ترَ فهذا ليس دليلا على أن الوعي هو نفسه نشاط العين.. كذلك إذا عطّلْت الخلية العصبية ولم ترَ فهذا ليس دليلا على أن الوعي هو نفسه نشاط الخلية.. والنتيجة نفسها تتكرر إذا عطّلْ جزءٌ من جزءٍ من الخلية. فما هو المستوى المادي الدقيقُ الذي يحق لنا التوقف عنده؟ والجواب: أنه لا يوجد لأن الوعي مقترن بالدلالات أما مادةُ الدماغ فلا تحتوي إلا على الشفرات.

الفرق بين الدلالات والرموز

حتى إنْ اكتشف الإنسان غدًا نشاطا عصبيا أو مادة كيميائية جديدة لها دورٌ هنا أو هناك فلن تخرج تلك الخواص عن رموز - من حركةٍ وكمٍ وأشكالٍ هندسية - لا يمكنها أن تشكل تلقائياً المعاني. بل لا بد من وجود وسيطٍ يربط كل معنىً برمزه. ورغم إمكانية التطابق بين (**علم الدلالات semantics**) وبين (**علم تنظيم الرموز syntax**) والتي يمكن أن تكون شفراتٍ صوتيةً تشكل لغةً معينة أو خطوطًا تحتاج إلى ضبط إملائي أو شفرات ممغنطةٍ تضبطُها لغةٌ رقمية، أو شحناتٍ كهربائية في الدماغ... فكل ذلك لا يمكنه أن يفسر ظاهرة الوعي ما دام لا يوجدُ قانون مادي حتمي يربط بين الرمز في الدماغ ودلالتِه التي نعيها. ودليل غياب الحتمية يكمن في تعدد الشفرات التي ترمز إلى الدلالة نفسها. وعلى سبيل المثال فإن إدراكنا للمفاهيم الأخلاقية والقواعد المنطقية والنظرية لن يتغير بمجرد تغيير اللغة، فالمسلم الاندونيسيُّ يعي معنى العدل بالطريقة نفسِها التي يعيها المسلم العربي. وفي المقابل فإن اختلافَ اللغات وما تمثله من شفرات صوتية يقود إلى اختلاف على مستوى الأذن وبالتالي على مستوى الدماغ. لأن ردة فعل الشبكة العصبية وتفاعلَها المادي مع تلك الإشارات القادمة من حاسة السمع ستكون مختلفةً باختلاف اللغات، الأمر الذي يجعل طبيعة التلازم بين إدراكِنا للعدل وبين النشاط الدماغي تلازما غير حتميٍّ بل يمكن أن يختلف من شخص لآخر.

وماذا عن التلازم بين إدراكِنا لوجودنا وبين ما يقابله من نشاط عصبي؟ فعندما يموت الإنسان يتوقف الدماغ عن العمل وعن إصدار الشفرات لكنه لا يتوقف عن الوجود في صورة مادة. وإن كان هذا الدماغ عاجزًا عن إدراك صفاته الذاتية ومن أهمها صفةُ وجوده فكيف له أن يعي بقية المعاني الغريبة عن صفاته لمجرد احتوائه لنشاط مادي يرمز إلى تلك المعاني؟ إن العلاقة بين الدلالات والرموز تطرح إشكالاتٍ حقيقيةً لن يحلها أيُّ تفسير مادي.. لأن إدراكنا لهويتنا الواحدة لا يمكن تفسيرها بنقيضها أي بتعدد الخلايا العصبية، وإدراكُنا لمعنى الوجود لا يمكن اختزالُه في متلازمات مادية من حركةٍ وكمٍ وأشكالٍ هندسية معينة دون غيرها.

عن الشافعي:

أصلُ العلم التَّثْبيتُ، وثمرتُهُ السَّلامةُ، وأصلُ العملِ التوفيقُ، وَثمرتُهُ النُّجْحُ، وغايةُ كلَّ أمرٍ الصدقُ.

/ÖhuNjR!f DžGdžú! Cčuhlj!f DžŭžD žǒ] YǒRnjk Cčuʊ5!f tNje!j
(ēďē) ĎШ

عن ابن وهب: سمعتُ مالكاً يقول:

حَقٌّ على من طلب العلم أن يكون له وَقَارٌ وسكينةٌ وخشية، والعلم حَسَنٌ لمن رُزق خَيره، وهو قَسم مِن الله تعالى، فلا تمكن الناسَ من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يُوفَّقَ للخير، وإن من شِقوة المرء أن لا يزال يُخطئ، وذلٌ وإهانةٌ للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه.

DžGdžú! Cčuhlj!f DžŭžD žǒ] YǒRnjk Cčuʊ5!f tNje!j
(ĒĎĐ) ĎШ / ÖhuNjR!f

عن إبراهيم بن أدهم قال:

كل ملك لا يكون عادلاً، فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون تقياً، فهو والذئب سواء، وكل من ذلَّ لغير الله؟ فهو والكلب سواء.

DžGdžú! Cčuhlj!f DžŭžD žǒ] YǒRnjk Cčuʊ5!f tNje!j
(đěē) ĎШ /ÖhuNjR!f

هل العلمانية حتمية؟

د. أحمد إدريس الطعان

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد :

العلمانية عند ثُلةٍ من الباحثين ليست خياراً إيديولوجيا بقدر ما هي واقعٌ تاريخي موضوعي في آن واحد[č]، وهذا يعني أنها ظاهرةٌ حتمية لا مردَّ لها[Ď]، أو ظاهرةٌ طبيعية كالزلزال والبراكين، وهي واقعة لا محالة، لأن الغرب هو السائق والقطار قد تحرك[ď]، ولذلك ينصحنا دعاتُها أن نكف عن المقاومة والمواجهة لأن هذا لن ينفعَنا ولن يجديَنا شيئاً فالتيار جارف[Đ].

ولكن السؤال: لماذا هذه الوثوقيةُ المطلقة في تأكيد حتمية العلمانية، ولماذا هذه المصادرةُ على التاريخ والمستقبل؟

الإجابة من منظور علماني:

تتمثلُ في كون الدراسات الأوربية والأمريكية المتطورة اعتَبرت العلمانيةَ واقعاً مُسلَّما به ولا يختلف في ذلك اثنان، واعتَبرت العلمانيةَ أمرا محسوما أو يكاد[đ]!! وما دامت أمريكا قالت فقد صدقت !!!.

أما نحن -كما يقول العلمانيون عن أنفسهم- فلا نزال نسمع نداءاتٍ تَعتبر العلمانيةَ أمرا مدسوسا[Ē]، ولا يزال الحديثُ عن العلمانية في واقعنا العربي يجلب التهمَ بالوقوع تحت هيمنة الغزوِ الغربي، ويغلبُ على الكتابات الإسلامية المنطقُ العدائي، والأفكارُ المتشنجة، ومعالجاتٌ يغلب عليها الخطابُ الاحتفاليُّ ويلاحَظ ذلك فيما يكتبه **أنور الجندي، وعماد الدين خليل، ومحمد مهدي شمس الدين ومحسن الميلي**[ē]، هذا "النوع من المفكرين الإسلاميين" !![Ĕ] الذين يستبطنون مواقفَ "أيديولوجية" عن العلمانية[ĕ].

ولكي يَدعمَ الفكرُ العلماني رؤيتَه في حتمية الظاهرة العلمانية فإنه يبحثُ في الواقع الاجتماعي عما يؤكد ذلك:

لقد قال **قاسم أمين** قبل مائة سنة :

وكل ناظرٍ في أحوال هيئتِنا الاجتماعية الحاضرة يجدُ فيها ما يدل على أن النساءَ عندنا قطعن دَور الاستعباد ، ولم يبق بينهن وبين الحرية إلا حجابٌ رقيقٌ إذ يرى :

- **شعوراً جديدا عند المصريين بالحاجة إلى تربية بناتهم بعد أن كن جاهلات.**
- **انزواءَ ظاهرة الحجاب وتلاشيها شيئاً فشيئا.**
- **تراجُعَ الشبان عن الزواج على الطريقة التقليدية وتأفُفَهم من الفصل بينهم وبين مخطو با تِهم .**
- **اهتمامَ الحكومة وبعضَ أبناء البلاد وفي مقدمتهم صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده بإصلاح المحاكم الشرعية** [ČČ].

وعبَّر **طـه حسين** عن أثر العلمانية في الحياة المصرية عندما قال:

حياتنا المادية أوربيةٌ خالصة في الطبقات الراقية وهي في الطبقات الأخرى تختلف قربا وبعدا من الحياة الأوربية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات ... [ČČ].

هكذا وصف دعاةُ العلمانية الحالَ في الربع الأول من القرن العشرين فما حالُها عند دعاتِها اليوم ؟

العلمنة تكتسح اليوم تحت غطاءٍ ديني وشعاراتٍ دينية كلَّ أرض الإسلام ولا أحدَ يعلم ذلك [ČĎ]

والأماراتُ الدالةُ على العلمانية في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بيِّنةٌ أكثرَ من أي وقت مضى مثل تولي المحاكمِ المدنية لزمام القضاء، وإزاحةِ المحاكم الشرعية عن مركز الصدارة وتهميشِها[čď].

وتَعلْمنَ الزمانُ باستخدام التقويم الشمسي بدلاً من التقويم القمري المرتبط بالشعائر والطقوس، وتَعلْمنَ المكانُ بحيث أصبح الاعتبارُ للوطن والقومية بدلاً من الدين، وتَعلْمنت المعرفةُ عندما استندت إلى الطبيعة والتاريخ بدلاً من الكتب المقدسة كمرجعيات، وتَعلْمنت السلطةُ السياسية عندما اعتَبر الدستورُ المشاركةَ الشعبية بدلاً من الاستخلاف في الأرض[čĐ].

حصل هذا لدينا عندما استبدلنا المحامين والقضاةَ والأساتذة المدنيين بالشيوخ والفقهاء وقضاة الشرع، والمكاتبَ الرشدية ثم المدارس والجامعات بالمدارس الشرعية والكتاتيب، وعندما اعتمدنا العلومَ الطبيعية والتاريخية والجغرافية أُسسا لمعارفنا العقلية بدلاً من الركون إلى المعرفة بالجن والعفاريت والزقوم ويأجوج ومأجوج وموقعِ جبل قاف!! والتداوي بالرقي والطلاسم! والأسماءِ الحسنى[čđ].

حصل هذا عندما أقمنا نُظُما قضائيةً تتناسب وحياةَ العصر وسننَ الرقي، ومن ذلك إلغاء أحكام الردة في الدولة العثمانية في عام ١٨٥٨م وقبولُ شهادة الذميين في السَنة نفسِها، واعتبارُ المسلم غيرِ العثماني بحكم الأجنبي، وإلغاءُ الجزية، وتجنيدُ الأقباط في الجيش المصري ابتداء من عام ١٨٥٥م[čĒ].

كما يتضح الاكتساحُ العلماني لمجتمعاتنا فيما نلاحظه من شيوع النماذج الغربية في وسائل الإعلام، والمبادلات التجارية، والمواصلات، والسياحة، وكل المظاهر المادية، ويتبع ذلك كثير من القيم الجديدة، وبروزِ الخلل

واضحاً بين الاستمساك بالأنماط التقليدية في شؤون الحياة والعيش، وبين ما نلاحظه من إقبال على التغرب بكل أشكاله الملازمة لحياتنا[Čĕĕĕĕ].

ولعل أهم المرتكزات التي تؤكد اجتياحَ العلمنة لحياتنا هو انقراضُ المدرسة القرآنية التقليدية التي كانت قائمةً في المساجد، وظهورُ نظام التعليم الغربي[ČĕĔ]، بدلاً من نظام التعليم العتيق في الكتاتيب والمدارس القرآنية والجوامع[Čĕĕĕĕ].

كل هذا يؤكد - في المنظور العلماني - أن مسار العلمنة يفعل فِعله في المجتمعات الإسلامية أشدَ ما يكون الفعل، وأن العلمنةَ ما فتئتْ تغزو المجتمعات العربية في العمق، وبصفة ثابتة لا رجعة فيها على المدى الطويل، المدى الوحيد الذي تعترف به الحضارة[ĎČ]. كما يؤكد **أن الإسلام قد فقد بعدُ قسماً كبيراً من قيمة تفسيره للكون، وهو من جهة أخرى في هذا المستوى يعيش نفس المشاكل التي تعيشها سائر الديانات التي أصبح اعتناقُها ينزع شيئا فشيئا إلى أن يكون اختيارا قلقا**[ĎČ].

تعقيب ونقد

بغض النظر عن اللهجة العدوانية والاستفزازية التي يتحدث بها **عزيز العظمة** والتي تفتقر إلى أدنى مقومات المنطق العلمي والمحاكمة العقلية، فإن ما يشيرُ إليه هو و**عبد المجيد الشرفي** من مظاهرَ يؤكدون بها حتميةَ العلمنةِ وسيرورتَها التي لا مفر منها - كما يزعمون - ليست اختيارا ديمقراطيا للأمة، ولم تقبله الأمةُ في أي يوم من الأيام، وكانت كلُّ هذه المظاهرِ التي يتحدثون عنها مرفوضة، ولا تزال مرفوضةً لدى الغالبية الساحقة من أبناء هذه الأمة.

إن المظاهرَ الاجتماعية التي يتحدث عنها العلمانيون ويؤكدون بها حتميةَ العلمنةِ وسيرورتَها التي لا مفر منها -كما يزعمون- ليست اختيارا ديمقراطيا للأمة، ولم تقبله الأمةُ في أي يوم من الأيام ، بل فرضت عليها بالحديد والنار ورفضتها ولا تزال ترفضها الغالبية الساحقة من أبناء هذه الأمة.

إن أبرزَ مثال على اختيار الأمة للإسلام وشريعته هو حالةُ تركيا التي مُورست فيها العلمانية الفاشيةُ بأبشع صورها على يد أتاتورك وأتباعِه ، ومع كل هذا فإن أهم سمةٍ تلفتُ الانتباه في سلوك الأتراك هي أن رسوخَ العقيدة الدينيةِ وعمقَها لم يتغيرا ، وما زالا يفعلان فِعلَهما في مجموعات واسعةٍ من الشعب التركي.

إن إلغاء المحاكمِ الشرعية والكتاتيب وإلغاءَ تطبيق الشريعة الإسلامية، وإلغاءَ التقويم الهجري، وفرْضَ النظمِ والقوانين الغربية الوضعية وغيرَ ذلك من المظاهر قد فُرِضَتْ على هذه الأمةِ بالحديد والنار، والقتل والإبادة، والتعذيب والإرهاب من شرذمةٍ من الحكام المستبدين الذين يمارسون كل ذلك تحت مباركة الاستعمار الغربي وتحالف العلمانية الفاشية "[ĎĎ].

إن الأمة لو أتيح لها الآن الاختيار - بعد كل سنوات العلمنة - لاختارت إسلامَها وشريعتَها دون تردد، وإن أبرزَ مثال على ذلك حالةُ تركيا التي مُورست فيها العلمانية الفاشيةُ بأبشع صورها على يد أتاتورك وأتباعِه ولكن ماذا حصدت العلمانية ؟

يجيب على ذلك باحثٌ تركي فيقول :

> ومع كل هذا – يشير إلى جهود العلمانية– فإن أهم سمةٍ تلفتُ الانتباه في سلوك الأتراك هي أن رسوخَ العقيدة الدينيةِ وعمقَها لم يتغيرا ، وما زالا يفعلان فِعلَهما في مجموعات واسعةٍ من الشعب التركي [بعد عقود طويلةٍ من سياسة العلمنة] ، ومع ذلك أيضاً لا يزال العلمانيون الأتراك يعتبرون ذلك انتصارا للظلامية على العلم [Ďď].

وما يزعمه الشرفي من انقراض الكتاتيبِ والمدارس القرآنية علامة على الاكتساح العلماني قد ينطبق على البيئة التي يعيش فيها هو، والمحيطِ الذي ينتمي إليه، ولكن هذا لا يعني أكثرَ من أنه هو وأمثالُه يعيشون في أبراجٍ عاجية بعيدين عن سواد الأمة، فالمساجد لا تزال عامرةً بالقرآن في كل بقاع العالم الإسلامي، والمدارسُ القرآنية في العطلة الصيفية تنشط في كافة الأوساط الإسلامية[ĎĎ].

إن ما أريد أن أقولَه هنا: أنّ العلمانية في البلاد الإسلامية ظاهرةٌ موجودة لا يمكن إنكارُها، ولكنها لم تُشَكّلْ في الإسلام إلا قشرةً رقيقة جداً لا تلبث طويلاً حتى تيبسَ ثم تتساقطُ متناثرة، إنها لم تنفذ ولن تنفذ أبداً إلى جوهر الإسلام وحقيقتِه، لأن الإسلام بطبيعته يستعصي على العلمنة، وقد أثبت خلال القرنين الماضيين أنه ليس كالمسيحية في الرضوخ للعلمنة، ذلك لأن ثوابته ومرتكزاتِه لا تقبل العبث مهما جهد العابثون، والسبب هو أنها قائمةٌ على معجزة خالدة رَسَمت حدود هذه الثوابتِ والمرتكزات رسما واضحا لا لبس فيه فجاءت كمثل "المحجة البيضاء، ليلها كنهارها"[Ďď] وستظل دائما شاهدةً على زيف المزيفين، وإرجافِ المرجفين.

أنّ العلمانية في البلاد الإسلامية ظاهرةٌ موجودة لا يمكن إنكارُها ، ولكنها لم تُشَكّلْ في الإسلام إلا قشرةً رقيقة جداً لا تلبث طويلاً حتى تيبسَ ثم تتساقطُ متناثرة ، إنها لم تنفذ ولن تنفذ أبداً إلى جوهر الإسلام وحقيقتِه، لأن الإسلام بطبيعته يستعصي على العلمنة، وثوابته ومرتكزاتِه قائمةٌ على معجزة خالدة.

ولكن مع هذا فإن المشكلات التي نجمت عن مسار العلمنة وإن لم تمس جوهرَ الإسلامِ قد أحدثت اضطرابا في أوساط المسلمين[ĎĚ] وفرقةً في صفوفهم، وأبرزُ هذه المخاطر هو استيلاءُ التقليدِ والتغرب على عقول ثلةٍ من النخبة المفكرة، حتى أصبحت هذه العقولُ في تبعية فكرية وحضاريةٍ تهدد مستقبلَ الأمةِ الحضاري.

إن شهادة التاريخ تثبت أن المسيحية الأولى كانت ضد العلمنةِ بصورة أكيدة وصريحة، وقد استمر ذلك عبر التاريخ حتى دخلت المسيحيةُ في صراع مع العلمنة، كانت المسيحية فيه هي الخاسرة، لقد حاولت المسيحية عبر القرون أن تقاوم ولكنها أخفقت، ومكمنُ الخطورة أنها عندما أخفقت أخذ منظروها المحدَثون يدعون المسيحيين إلى الانخراط في التيار، وتطوير المسيحية[ĎĚ].

إن جذور العلمنة لا تكمن في عقائد الكتاب المقدس بل في تأويلات الإنسان الغربي لها، إنها ليست ثمرةَ الإنجيل، بل هي ثمرةٌ للتاريخ الطويل للصراع الفلسفي والميتافيزيقي بين رؤيتين كليتين للوجود يصدر عنهما الإنسان الغربي، واحدة دينية والأخرى عقلانية خالصة[ĎĚ] **وقد انفردت المسيحية وحدَها من دون أديان العالم الكبرى جميعاً بأنها قد حولت مركز ظهورِها من القدس إلى روما علامةً على بداية تغريبها**[ĎĚ]، وكان ذلك مؤشراً على بداية تعلمُنها[ďČ]، وقد ظلت المسيحية تُعدّل في معتقداتها وتتنازل عن ثوابتها، وتنقح الكتاب المقدس عبر المجامع المختلفة حتى انهارت قداستها وفقدت قيمتها في كونها مرجعية أخلاقية دينية للإنسان الغربي.

أما الإسلام فتاريخ صراعه مع العلمنة عبر قرنين من الزمان يثبت أنها لم تؤثر فيه إلا على الشكل وقد بقي الجوهرُ والمضمون في غاية النقاء، وهذا الجوهرُ يشد الأمة دائما إليه فتعيدُ صياغة نفسِها شكلاً ومضمونا. ويمكن القولُ إن الجوهر والمضمون في الإسلام مثله مثل الرايةِ التي تُرفع في المعركة فيظل الجنود ينجذبون إليها ويتراصُّون حولها، ويعيدون تنظيم أنفسِهم لجولةٍ جديدة من النزال.

إن استعصاء الإسلام على العلمنة أمرٌ أدهش باحثي علم الاجتماع فالعالمُ الإنجليزي " **إرنست جيلنر** " يقول:

إن النظرية الاجتماعية التي تقول: إن المجتمع الصناعي والعلمي الحديث يُقوِّض الإيمان الديني –وهي مقولة العلمنة– صالحةٌ على العموم، لكن عالمَ

إن جذور العلمنة هي ثمرةٌ للتاريخ الطويل للصراع الفلسفي والميتافيزيقي بين رؤيتين كليتين للوجود يصدر عنهما الإنسان الغربي، واحدة دينية والأخرى عقلانية خالصة.

من عوامل انخراط المسيحية في تيار العلمنة، واستعصاءِ الإسلام على العلمنة أن العقائد في الإسلام واضحةٌ لا لبسَ فيها ولا غموضَ ولا رموزَ ولا أسرارَ ولا تعقيدات، أما في المسيحية فالعقائد غير مفهومة، وهي مبنيةٌ على الغموض والرموز ولذلك يقولون لك "آمِن ثم افهم" أما في الإسلام "افهم ثم آمِن".

الإسلام استثناءٌ مدهش وتام جداً من هذا!! إنه لم تتم أيُّ علمنة في عالم الإسلام، إن سيطرة الإسلام على المؤمنين به قوية، وهي أقوى مما كانت من مائة سنة مضت، إن الإسلام مقاوم للعلمنة في ظل مختلف النظمِ الراديكالية والتقليدية والتي تقف بين النوعين ... والإصلاح الذاتي استجابةً لدواعي الحداثة في عالم الإسلام يمكن أن يتم باسم الإيمان المحلي، وليس على حساب الإيمان [dč].

ولبيان العوامل التي أسهمت في انخراط المسيحية في تيار العلمنة، واستعصاءِ الإسلام على ذلك يمكن ملاحظة ما يلي [dď]:

أولاً : صورة الله ﷻ وعنايته بالكون: إنها في الفكر الأرسطي الذي تبنته المسيحيةُ صورةٌ تساعد على العلمنة فالله مجرد خالق للعالم ولا علاقة له بتدبيره ورعايته. إن العالم كالساعة، ووظيفة الله أن يُشغّل هذه الساعة ثم يجلس بلا عمل [سبحانه وتعالى] وقد أكد الفلك الكوبرنيقي هذه الصورة، وأضاف إلى ذلك أن أزاح الإنسان عن المركز.

ثانياً : المقاصد الدنيوية اللاأخلاقية للقانون الروماني القائمِ على المنفعة المحضة دون نظر لأي اعتبارات دينية أو ماورائية. إن هذا القانونَ السائد في دولة ديانتُها المسيحيةُ أسهمَ في إخضاعها للتيار عندما أصبح جارفاً.

ثالثاً : الفصل في المسيحية بين ما لقيصر وما لله أعطى المبررَ للعلمنة السياسية أولاً، ثم القانونية، ثم الأخلاقية.

رابعاً : عقيدة الصلب التي جعلت موت الإله ممكناً في الفكر المسيحي، فما دام الابن قد مات وهو إله، فلماذا لا يموت الأب أيضاً. ولمْ ينتظر الغرب طويلاً فقد أعلن نيتشه عن موته! سبحانه وتعالى.

خامساً : الثنائية الحادة والمتناقضة في تاريخ العلاقة بين لاهوتيين لا عقول لهم يمثلون الكنيسة، وعلماءَ طبيعيين لا أرواحَ ولا قلوب لهم يمثلون الدنيوية والمادية. ولا ننسى هنا الانفصامَ الشديد بين أخلاق الزهد والضعف والاستكانة التي تكرسُها المسيحية، وبين الواقع الذي كان يعيشه الرهبان والبابوات من بذخ وفساد وترف، مما أفقد المسيحية الواقعية القابلة لإمكانية التطبيق.

إن الإسلام مقاوم للعلمنة في ظل مختلف النظمِ الراديكالية والتقليدية والتي تقف بين النوعين.

إذا ما قورنت هذه العوامل بما يقابلها في الإسلام وجدنا:

أولاً : الله ﷻ - في الإسلام - ليس خالقا عاطلا عن العمل إنه ﷻ خالق ومدبر ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[ďď] بل إنه قيوم السماوات والأرض، أي إن استمرار قيام الكون بإرادته ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[ďĐ] وهو ما قرّره أهلُ السنةِ في دوام فاعلية الرب جل وعلا. إن الله ﷻ إذا قطع إمدادَه للكون بالوجود تلاشى بما فيه.

ثانياً : علاقة الدين بالدنيا قائمةٌ على الوصل وليس الفصل، فالدنيا خادمة للدين، وهي مزرعةُ الآخرة، وهي دار العبور، ولا بد من التزود منها ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[ďď] ولكن الآخرةَ هي المراد والمقصد ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾[ďĒ].

ثالثاً : الأخلاق في الإسلام واقعيةٌ لا تُحلِّق في المثالية، ومن شاء أن يسمو إلى المثالية فهو وذاك. إن المراد في الإسلام هو العدل، أما الإحسانُ فهو لمن أراد أن يتجاوز الحدودَ البشرية ويقترب من الملائكية، فالإسلام لا يمنعه بل يبارك له جهاده ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[ďĕ]، ولن يضيع الله ﷻ عمله ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[ďĚ] وسيكافئُه على ذلك ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾[ďĕ] ولكن النزولَ عن مرتبة العدل إلى الظلم هو المرفوض.

رابعاً : ليس هناك مقابلةٌ بين العقل والنقل في الإسلام، إن ما يقابل العقل هو الجنون، إننا نقرأ النقل بالعقل ونفهمُه به، والنقل هو القائد والهادي والمرشد.

ليس هناك مقابلةٌ بين العقل والنقل في الإسلام، إن ما يقابل العقل هو الجنون، إننا نقرأ النقل بالعقل ونفهمُه به، والنقل هو القائد والهادي والمرشد.

يمكن القولُ إن الجوهر والمضمون في الإسلام مثله مثل الرايةِ التي تُرفع في المعركة فيظل الجنود ينجذبون إليها ويتراصُّون حولها، ويعيدون تنظيم أنفسِهم لجولةٍ جديدة من النزال.

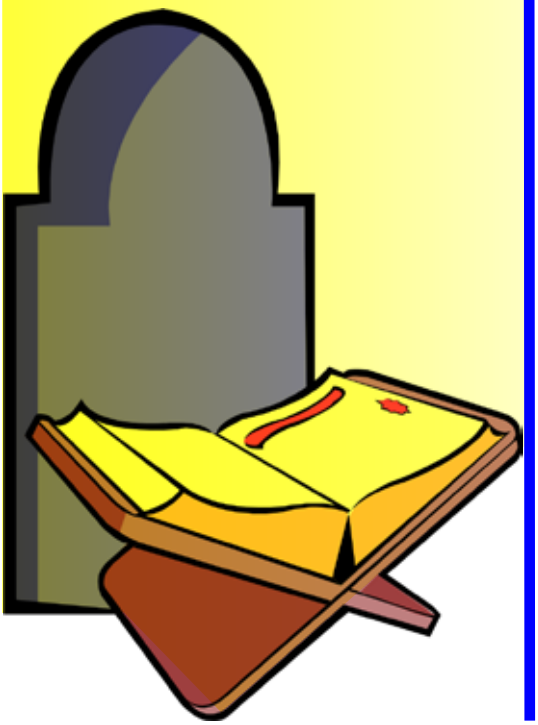

خامساً : الوضوح: فالعقائد في الإسلام واضحةٌ لا لبسَ فيها ولا غموضَ ولا رموزَ ولا أسرارَ ولا تعقيدات، أما في المسيحية فالعقائد غير مفهومة، وهي مبنيةٌ على الغموض والرموز ولذلك يقولون لك "آمِن ثم افهم" أما في الإسلام "افهم ثم آمِن" ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [ÐČ]

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي
وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

د. أحمد إدريس الطعان
كلية الشريعة – جامعة دمشق
ahmad_altan@maktoob.com

هوامش المقال:

[١] انظر: د. عزيز العظمة " العلمانية تحت المجهر" ص ١٦٨ .
[٢] انظر: د. فتحي القاسمي " العلمانية وانتشارها شرقاً وغرباً " ص ٥٢ .
[٣] انظر: د. طارق حجي " الثقافة أولاً وأخيراً " ص ٩٨ .
[٤] انظر: د . القاسمي " السابق " ص ٢٧ .
[٥] السابق: ص ٢٣ .
[٦] السابق: ص ٤٢ وانظر: د. عزيز العظمة " العلمانية تحت المجهر " ص ١٦٨ .
[٧] انظر: د. فتحي القاسمي " العلمانية وانتشارها .. " ص ٢٤ .
[٨] انظر: د.عادل ضاهر " الأسس الفلسفية للعلمانية " ص ٤١ .
[٩] انظر: السابق: ص ٤٢ ، ٤٣ .
[١٠] انظر: قاسم أمين "المرأة الجديدة" ضمن "الأعمال الكاملة" ص ٥١٢ ، ٥١٣ تحقيق د. محمد عمارة - دار الشروق- القاهرة.
[١١] طه حسين " مستقبل الثقافة في مصر " ص ١ / ٣٠ .
[١٢] أركون " الأصول الإسلامية لحقوق الإنسان " مقال في مجلة الفكر المعاصر عدد ٦٢ , ٦٣ ترجمة هاشم صالح.
[١٣] انظر: د. عزيز العظمة " العلمانية تحت المجهر " ص ١٦١ . وانظر له " دنيا الدين في حاضر العرب " ص ٦٥ فما بعد دار الطليعة - بيروت ط١ / ١٩٩٦ م .
[١٤] انظر: السابق: ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

[١٥] انظر: السابق " ص ١٦٤ .

[١٦] انظر: السابق : ١٦٥ .

[١٧] انظر: د. عبد المجيد الشرفي " لبنات " ص ٦٤ .

[١٨] انظر: السابق نفسه .

[١٩] انظر: السابق ص ٣١ .

[٢٠] انظر: السابق ص ٣٠ .

[٢١] السابق: ص ٦٧ ، ٦٨ .

[٢٢] حول العلمانية الفاشية انظر: د. المسيري " موسوعة اليهود واليهودية " ١ / ٢٣٠ .

[٢٣] انظر: شريف ماردن ص ١٦٥ مقال له ضمن كتاب أبعاد الدين الاجتماعية - تعريب صالح البكاري - الدار التونسية للنشر - سبقت ترجمة الباحث " شريف ماردن " .

[٢٤] بل إنني عندما زرت تونس وكنا نمر أحياناً نصلي المغرب في بعض المساجد نجد حلقات في المساجد منهمكة في قراءة القرآن، بل إن بعض الأصدقاء الذين أقاموا في تونس لمدة ست سنوات أكدوا لي أن الشعب التونسي وخصوصاً في قطاع الشباب في داخله تحرق شديد للعودة إلى التدين والالتزام بالشعائر والعبادات والأخلاق الإسلامية، لأنهم يرون بأعينهم الدمار الذي ألحقته العلمنة بالأسرة التونسية والمجتمع، والتفكك والانحلال الذي أصاب الحياة الاجتماعية والأخلاقية، وأكد لي هؤلاء الأصدقاء أن ما دمره بورقيبة وشين الفاسقين طوال ثلاثين سنة من قيم إسلامية في تونس يمكن إعادة بنائه في أقل من سنة إذا ما وجدت سلطة عادلة تتيح للناس ممارسة حرياتهم.

[٢٥] جزء من حديث شريف أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب المقدمة رقم ٤٣ وأحمد في مسنده - مسند الشاميين رقم ١٦٥١٩ .

[٢٦] انظر: د. العطاس " مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية " ص ٤١ .

[٢٧] السابق: ص ٤٩ .

[٢٨] السابق: ص ٤٦ .

[٢٩] العطاس: " السابق " ص ٤٦ .

[٣٠] السابق: ص ٤٨ .

[٣١] نقلاً عن د. محمد عمارة في تعليقه على مقال للقس جوتفرايد كونزلن " مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا " ص ٤١ ، ٤٢ - تقديم وتعليق د. محمد عمارة - نهضة مصر - ١٩٩٩ د .ط .

[٣٢] انظر: د. عمارة " مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا " ص ٤٢ ، ٤٣ .

[٣٣] سورة الأعراف: آية ٥٤ .

[٣٤] سورة فاطر: آية ٤١ .

[٣٥] سورة القصص: آية ٧٧ .

[٣٦] سورة القصص: آية ٧٧ .

[٣٧] سورة العنكبوت: آية ٦٩ .

[٣٨] سورة البقرة: آية ١٤٣ .

[٣٩] سورة الزلزلة: آية ٧ .

[٤٠] سورة الإسراء : آية ٣٦

يقول ابن قيم الجوزية:

وكلما عظم نور هذه الكلمة – لا إله إلا الله – واشتد: أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته. حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة، ولا ذنباً، إلا أحرقه. وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئاً. فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها. فسماء إيمانه قد حُرِست بالنجوم من كل سارق لحسناته. فلا ينال منها السارق إلا على غِرَّة وغفلة لا بد منها للبشر. فإذا استيقظ وعلم ما سُرِق منه استنقذه من سارقه. أو حصّل أضعافه بكسبه. فهو هكذا أبداً مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته، ووَلَّى الباب ظَهره.

(Ďēě-ĎēĚ) čШ / LJŏ‡!ĆĮ!ƒ ШƧƒþđž

قال عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب:

إن حقيقة معنى كلمة»لا إله إلا الله» الإخلاص ونفي الشرك. وكلاهما متلازمان، لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن لم يكن مخلصاً فهو مشرك، ومن لم يكن صادقاً فهو منافق، والمخلص أن يقولها مخلصا الإلهية لله عز وجل، وهذا التوحيد هو أساس الإسلام الذي قال الخليل عليه السلام: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ) [البقرة: ١٢٨] ولذا قيدت في الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم: «غير شاك» فلا تنفع إلا من قالها بعلم ويقين لقوله صدقا من قلبه خالصا من قلبه.

(ČČĚ) LJŏþơĂđž!ƒ LJĂŏƵ Ɩƨþ

الإمكانياتُ الجديدةُ

فصلٌ من كتاب:

واقعنا ومستقبلنا في ضوء الإسلام

وحيد الدين خان

قال **بريدي** (١٨٤٦-١٩٢٤) «**إن العالم في حاجة إلى دين جديد، نحن في حاجة إلى عقيدة تحدد المصالح الإنسانية كلها، وتقيمها على أساس تشريعي وتناسب ضروري، وتقدم للإنسان شعوراً وإحساساً يمكن أن يعتمد عليه بكل ثقة**». ولم يكد الفيلسوف الإنجليزي يعلن عن حاجة العالم إلى الدين الجديد في الربع الأول من القرن الحالي حتى أعلن العالم الفرنسي **دان دوفواي** (١٨٨٣-١٨٤٧) بعده بقليل عن توبته عن الإلحاد، وعودته إلى الدين. ونشر كتابه الشهير **Human distiny** فكان ذلك علامة على عودة الإنسان إلى حظيرة الدين، والآن وفي نهاية القرن العشرين ظهر هذا الأمر أكثر وضوحاً، وزاد هذا الإحساس بعد التجارب المادية.

إن فشل محاولات الإصلاح الاجتماعي من خلال القوانين الوضعية والتدابير الدنيوية قد أجبر العقول التي ظلت تهاجم الدين أن تلين أكثر، حتى إننا اليوم نشهد حركة رد فعل مضادة تهدف إلى العودة إلى الدين. وقد ظهرت هذه الحركة في العالم كله.

وهذا جيل أمريكا الجديد، الذي آمن آباؤه وآمن أجداده بنظريات **داروين وفرويد**، يبحث الآن عن راحته وهدوئه في حركة "**ثورة المسيح jesus revolution**"

وحركة "**صحوة كرشنا Krishna Consciousness**" والشباب الياباني وصل إلى قمة الرقي، ويشعر بالفراغ نظراً لعدم وجود قيم روحية، ويقولون إن ثقافتهم ثقافة تجارية لا تقدم لهم سوى القيم التجارية Marchant values فقط.

وقد وصل الأمر إلى أن الجيل الجديد في روسيا، وهو الذي نشأ وتربى في أحضان المجتمع الملحد، بدأ الاتجاه ناحية الدين. وفي اجتماع عُقد لضباط هيئة معارضة الأديان في موسكو بالاتحاد السوفيتي قال أحد الضباط وهو يذكر بُطء الإجراءات التي تتخذ ضد الدين: **﴿ إن عملنا في مواجهة الدين يتحرك ببطء المحرك البخاري ﴾**. وسَمِعه ضابط آخر فقال: **﴿ محرك بخاري ! إنه الآن لم يكتشف حتى العجلة ﴾**.

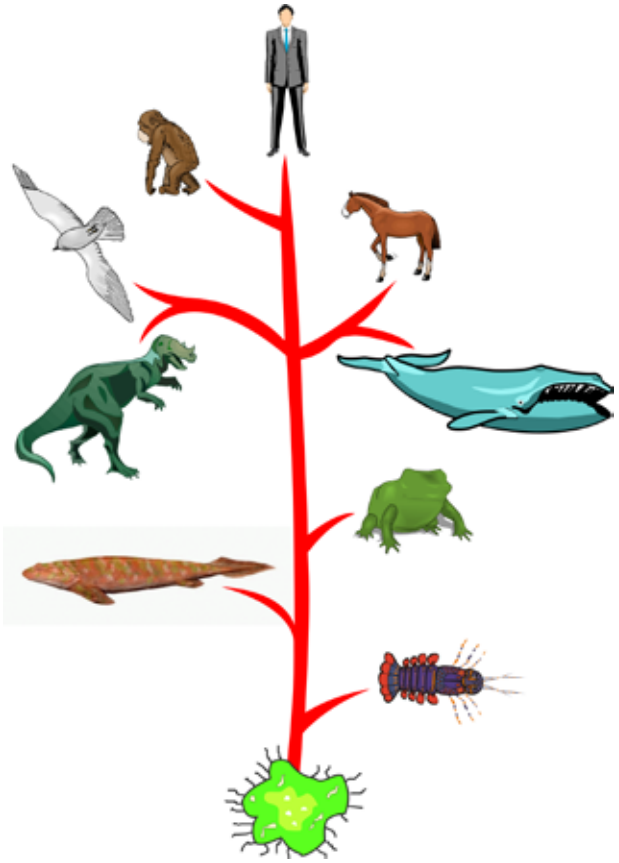

شجرة التطور المزعومة

إن جميع النظريات التي ظهرت في القرن التاسع عشر في مواجهة الدين والنيل منه قد أثبتت الحقائق المكتشفة عدم صحتها بطريقة تدعو إلى الدهشة، فنظرية الارتقاء التي فُهمت على أنها بديل عن الخالق هي اليوم بلا دليل، وعلى سبيل المثال اكتشفت أساليب وطرق يمكن عن طريقها معرفة عمر الأرض بدقة، إلا أن العمر الذي ذكرته هذه النظريات ضئيل جداً، ولا يمكن قياسه بالنسبة لعملية الارتقاء للنماذج الموجودة في الحياة الآن كما تقترح نظرية الارتقاء.

وقد قام عالمان ممتازان من علماء البيولوجيا بتقديم نظرية جديدة، وهما **فرانسيس كريك Francis Crik** وزميله **لزلي أورجل Leslie Orgel** اللذان فازا بجائزة نوبل عن أبحاثهما المشتركة التي أثبتا فيها أنه لا يمكن تحديد أو تقرير أن مادة الأرض قد

خضعت لنظرية الارتقاء؛ فمن بين الأشياء المكونة للأرض مادة **المولبيدينم Molybdenum** ولها دور في النظام البيولوجي. والنظام الإنزيمي يعتمد في عمله على هذا المعدن، وهذا المعدن -رغم أهميته الكبيرة غير العادية - يوجد بنسبة "اثنين في الألف" من كل المعادن، ومن ناحية أخرى فلا تصل المعادن الأخرى من مثل الكروميم والنيكل، وهي تشبه في خصائصها "المولبيدينم" وتصل نسبتها بين معادن الأرض إلى اثنين في المائة لا تصل هذه المعادن إلى أهمية المعدن المذكور وذلك بالنسبة للنظام البيولوجي، ويقول **كريك وأورجل** عن التركيب الكيميائي للأرض كان يجب أن ينعكس على تكوين الحيوات التي تكونت على الأرض. ولما كان هذا الأمر لم يمض على إطلاقه، فمن هنا يفترض العالمان أن هناك في الفضاء الأعلى للحياة أماكن معمرة أرسلت إلى الأرض من لدن حضارة أخرى راقية، وكانت هذه القراءات هي الأساس العلمي الذي بنى عليه الكيميائي السويدي **أرينيس** نظرية **Pam permia**.

خام المولبيدينم Molybdenum

مثل هذه الأشياء التي لا حصر لها، وجدت في زماننا الحالي، وقربت تماماً بين العلم أو بين الفكر الجديد وبين الدين. وقد تم اكتشاف أمور أخرى عديدة في جميع أفرع العلم في العصر الحديث تثبت صدق المعتقدات الإسلامية بطريقة حيرت العقول، وهزت الذهن الإنساني.

لقد آذى العرب القدماء المعارضون لكلمة التوحيد، آذوا الناطقين بهذه الكلمة إيذاءً جعلهم لا يتمكنون حتى من الجلوس، وأجبروهم على ترديد كلمات "اللات والعزى إلهان من دون الله". وقد أثبت تطور العلم اليوم أن هذه الأمور -أي الشرك بالله - لا أساس لها من الصحة؛ ففي العلم الحديث أصبح الإيمان بربوبية أي كائن من الكائنات أمراً لا معنى له، فلا وجود للشرك في دنيا العلوم. فإذا وُجِد عقل شجاع قادر على الاختيار وإذا وُجِد معه علم عميق حديث، فإن إثبات الدين اليوم إنما يتم على مستوى عال ويكتسح جميع النظم الفكرية الحديثة.

١/ إن أهم الاكتشافات العلمية الحديثة من وجهة النظر الإسلامية هي: الأسلوب المنهجي الحديث؛ فحتى بداية القرن العشرين كان من الضروري لإثبات صحة أي استدلال أن تكون هناك علاقة قرابة أو علاقة مشتركة بين الدعوى والشيء الذي يدعى في حقه، تماما كالعلاقة بين مفتاح الكهرباء وبين المصباح الكهربائي المتصل

به. وبعبارة أخرى يلزم لإثبات واقعية نظرية ما أن تكون قابلة للعرض والإعادة، لكن هذا التصور انتهى الآن، فالموقف العلمي اليوم هو أنه إذا وجدت الحقائق أمكن عن طريقها أن يستنبط العالم نظريته، ويمكن الاعتراف بهذه النظرية المستنبطة بطريقة علمية كواقع، وطبقاً لهذا المعيار الاستدلالي الحديث تمت دعوى نظرية الارتقاء لأنه مهما كانت غير مشاهدة إلا أن علماء الأحياء اكتشفوا حقائق تثبت الارتقاء كاستنباط علمي.

وانطلاقا من هذا المعيار الاستدلالي فإن الاكتشافات العلمية الجديدة تصل بالإنسان إلى أمر هام جداً من وجهة النظر الإسلامية، فحتى قبل خمسين سنة لم يكن من الممكن لنا أن نثبت المعتقدات الدينية على مستوى "الاستدلال العلمي" لأن العلم في ذلك الوقت كان يعترف فقط بالحقائق المشاهدة. ولم يكن هناك أي مكان داخل المجال العلمي للحقائق المستنبطة، ولكن الاستدلالات التي يقدمها القرآن الكريم للتعبير عن حقائق العالم اللامحسوسة، عن طريق واقعات العالم المحسوسة هي على الأقل استدلالات علمية خالصة وقائمة على أصول ثابتة. ولم يكن من الممكن - قبل نصف قرن - أن يقوم أحد بالاعتراف بهذا الأمر كاستدلال علمي، وهذا مجال واسع واستغلاله يمكن أن يكون بمثابة قوة كبيرة تعضد الإسلام في ساحة النقاش وعلم الكلام.

٢/ والمسائل العقلية التي راجت في زمان **ابن رشد** (١١٣٠-١١٩٧) كان إطارها قائما على المنطق القياسي **لأرسطو**، وقد شاهد **ابن رشد** الكائنات من خلال إطار هذه المسائل العقلية القياسية، فلم يتقبلها عقله، فكيف ينكر قدم المادة؟! لقد آمن بأن المادة قديمة وعلى أساس هذا الإيمان وضع أساس فلسفته الإلهية، ولكن الحقيقة أنه بعد الإيمان بقدم المادة لا يمكن أن يبقى هناك أساس حقيقي للإلهيات: فنظرية قدم المادة تنكر تماماً خالق الخلق ومبدعه، وبعدها لن يبقى هناك مجال لله من حيث كونه "المحرك الأول"، والحقائق المكتشفة في زماننا الحالي وعلى سبيل المثال **"القانون الثاني للحرارة الديناميكية" second Law of thermodynamics** قد أنهى تماماً وإلى الأبد حكاية قدم المادة. وهكذا فهناك حقائق عديدة تعطينا الفرصة للتمكن من وضع الأدلة الدامغة للعقائد الإسلامية على أسس بالغة الإحكام.

٣/ هناك قضية كبيرة أوجعت دماغ الإنسان آلاف السنين دون أن تجد حلاً، وهي أن العلماء والحكماء الذين راحوا يحاولون حل لغز الكائنات عن طريق العقل، وصلوا إلى أقصى حدود السمو العقلي ثم فشلوا في حل هذا اللغز، وهذا هو السبب في أن الفلسفة حتى الآن ظلت تعمل على التشكيك فقط، ولم تتمكن من الوصول بالإنسان إلى العقيدة الثابتة. وقد أوضح القرآن الكريم أن الإنسان أُعْطِي علماً قليلا :

والإنسان عن طريق بحثه العقلي يمكن أن يصل إلى حد معين من الحقيقة، ولا يمكن أن يصل إلى نهاية الحقيقة، ومحاولة الوصول إلى نهاية الحقيقة لن تنتهي إلا بالفشل؛ ولهذا فالأمر الواقع هو أن يعتمد الإنسان بعد الوصول إلى هذا الحد المعين على أسلوب الإلهام، وكانت هاتان الوجهتان موضوع الأبحاث القياسية في الماضي. وفي الوقت الحاضر أعطى العلم قراره إلى جانب القرآن بطريقة مدهشة.

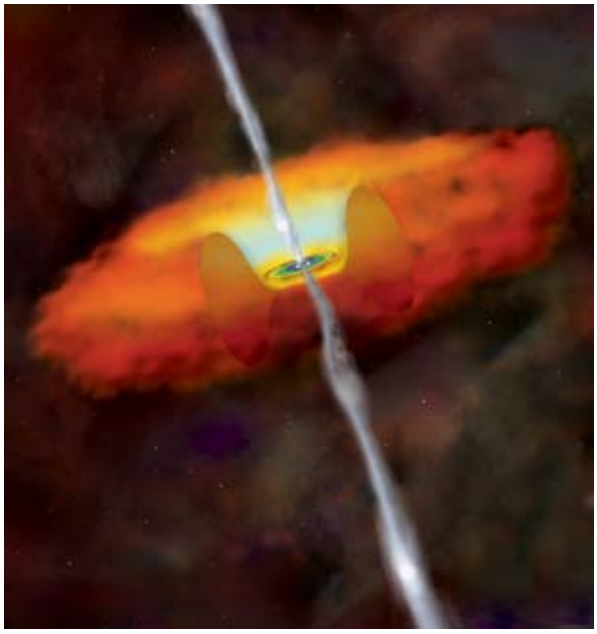

رسم تخيلي لثقب أسود هائل ينمو بسرعة في مركز المجرة وهو بما يعرف علمياً بـ AGN ، حيث يظهر تيار من الغاز الحار يندفع إلى مركز الثقب الأسود وهو محاط بإطار هائل من الغبار والغازات الأبرد.

لقد اكتشف العلم أن الإنسان يمكن أن يصل بالأسلوب العقلي إلى العلم الجزئي فقط، حتى أن نظرية **"الجحور السوداء" black holes** تدل على أن المادة لا يشاهد الإنسان منها إلا ثلاثة بالمائة فقط و ٩٧٪ من المادة لا يمكن أن يشاهده الإنسان، وهذا الاكتشاف العلمي الجديد أعطانا الفرصة لنتمكن من إثبات موقف القرآن بأحدث الطرق العلمية وأن ندلل على معقولية الحقائق الإلهامية على مستوى علمي جديد.

وما يثبته العلم الجديد من أمور يتطلب دائرة معارف، ونحن هنا سنشير إلى بعضها على سبيل المثال:

- إن النتائج التي توصلت إليها العلوم أثناء البحث في عالم الفطرة أثبتت بطريقة محيرة أن هناك عقلا ما وراء هذه الكائنات، هذا العقل هو الذي قام بخلقها وهو مدبرها، والكائنات التي اكتشفها العلم كائنات لا تعمل في فراغ كما أنها منظمة تماماً وبدقة مذهلة، حتى أن الأمر يكون هراء إذا لم نسلم ونعترف بأن وراءها خالقاً ومالكاً.

- أهم نقاط الخلاف بين الإسلام والأديان الأخرى تتمثل في قضية الشرك، التوحيد، فيصعب على الناس تقبل فكرة أن هذه الدنيا التي تضم مختلف الأشكال والأنواع يمكن أن تكون لإله واحد لا شريك له. إلا أن الاكتشافات العلمية قد أكدت تماماً قرارات العلم الأخيرة المتعلقة بهذه القضية جنبا إلى جنب مع نظرية التوحيد الإسلامية، وهذه القرارات تعني أن الكائنات ليست فقط واحدة من ناحية خضوعها كلها لقانون كلي واحد، بل إن تحليل مادتها إلى النهاية يُثبت أنها من هذه الناحية واحدة أيضا أي الذرة أو الموجات الكهربائية غير المرئية.

- وصل العلم إلى آخر مراحله فأثبت بما لا يدع مجالا للشك أن وسائلنا العلمية قد قدمت لنا فقط علماً جزئياً من عالم الواقع فهو لا يمكن أن يحيط بكل شيء، وهذا الأمر ليس صحيحاً من ناحية وسائل المشاهدة الحالية فقط بل إن نوعية الحقائق هي من النوع الذي لا يمكن مشاهدته أبداً بما لدينا من كفاءات طبيعية محدودة، ويفهم من هذا أن الإنسان يحتاج إلى وسيلة أخرى لفهم عالم الحقائق بالإضافة إلى ما يمتلك من علوم حسية.

- اكتشف العلم أن الحقيقة في شكلها الأخير غير قابلة للمشاهدة ويمكن أن نستنبط مظاهرها فقط، ولا يمكن أن نراها بطريقة مباشرة وهذا يؤكد تماماً موقف الإسلام الذي يوضح أن الإنسان لا يمكن أن يشاهد الله أو عالم الآخرة في الحياة الدنيا، ولا شك أن البحث في مظاهر الكون يمكن أن يؤدي إلى اكتشاف الحقيقة الإلهية.

- لقد أثبت العلم أن القانون الإلهي يفوق القانون الوضعي فيما يخص العلاقات الإنسانية وعلى سبيل المثال جعل الإسلام الرجال قوامين على النساء ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء ﴾ [dÐ : Ct'[Ui/] بينما أكد القانون الوضعي عكس هذا الأمر: المساواة بين الرجل والمرأة، إلا أنه ثبت بطريقة علمية خالصة أن المرأة أضعف من حيث الخلقة وأن الرجل هو الجنس الأقوى بالنسبة للمرأة.

كان أهم أساس وضع عليه فلاسفة العصر القديم معارضتهم للدين هو **"مسألة القدم"** أي أن الكائنات موجودة منذ الأزل، فإذا كانت موجودة منذ الأزل فما هي ضرورة الإيمان بالخالق ؟! إلا أن العلم الحديث قد أثبت أن عمر العالم محدود، وهكذا تم القضاء على هذه النظرية تماماً. وبعدها بدأ الإنسان يعتمد على نظرية الارتقاء، إلا أنه ثبت هنا أيضا إن العمر المحدود للأرض لا يمكن أن يكون كافيا لخلق الإنسان الحالي طبقا لنظرية الارتقاء في الخلق.

وقد أثبت العلم أن الحقائق الموجودة في الكائنات لا يمكن أن نقيم على

لا يمكن للناظر لنتائج العلوم إلا أن يقر بوجود خالق مبدع مدبر نظراً لما يحويه عالم الكائنات من دقة مذهلة وتنظيم تام.

لا يمكن لوسائلنا العلمية أن تحيط بكل شيئ في عالم الواقع المحسوس فكيف إذاً بعالم الغيب الذي لا الذي لا نشاهده الآن.

إن أهم نقاط الخلاف بين الإسلام والأديان الأخرى تتمثل في قضية إقرار وحدانية الله.

أي منها الاستدلال المباشر أيضا، وما يمكن أن نفعله هو أن نصل إلى قرائن استنباطية عن طريق بعض المشاهدات الظاهرية، ومن هنا نصل إلى وجود الحقيقة؛ وهكذا فقد أثبت العلم صحة الاستدلال علميا عن طريق الواسطة، وهذا هو الأساس الذي قام عليه الاستدلال على الدين.

قدم الإسلام نظرية خلافة الشورى في السياسة. وقد سيطرت قديماً فكرة الملكية الوراثية على العقول، وكانت هذه النظرية غير مقبولة، إلا أن الثورة الجمهورية الجديدة قد جعلت نظام خلافة الشورى الإسلامية من الأمور المفهومة لدى إنسان اليوم.

أعلن الإسلام أن للضعفاء حقاً في كسب الإنسان القوي، ولهذا صدر قانون الزكاة، إلا أن هذا النوع من النظام الاقتصادي لم يكن مفهوماً لدى الإنسان قديماً. وبعد وفاة الرسول ﷺ حدثت مسألة الردة.
وفي زماننا الحالي جعلت الثورة الاشتراكية هذا الأمر مقبولا، أي وجوب وجود حق للآخرين في كسب شخص ما، مع أن الاشتراكية قد أخطأت في فكرة أن يكون للآخرين حق في ملكية الشخص مع أن الصحيح هو أن يكون للآخرين حق في "الدخل" فقط.

وهناك أمر لم يُفهَم جيدا حتى الآن، وهو أن عصر العلم هو حقيقة عصر الإسلام وما حدث صدفة وعلى سبيل الخطأ هو وجود صراع بين العلم والمسيحية حتى وصل إلى قضية الإلحاد، وما هو العلم؟ هو ملاحظة الفطرة، والفطرة ودين الفطرة هما وجهان لحقيقة واحدة. وهذا هو السبب في أن القرآن أوضح أن عصر العلم ليس أبداً خطراً على الإسلام بأي حال من الأحوال بل العلم وسيلة لتبيان الحق:

وعصر العلم لم يبدأ في أوربا بل بدأ في الأندلس وصقلية في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر ميلادي، وتؤكد حقائق التاريخ أنه لم يوجد صدام من أي نوع في ذلك الوقت بين العلم والدين.
والعلم كان يتطور في ذلك الزمان ليخدم الدين، ولكن حين قام الأتراك بإخراج العلماء البيزنطيين من الآستانة ومن القسطنطينية في القرن الخامس عشر، فهاجروا بعد ذلك ووصلوا إلى إيطاليا - حينئذ انتقلت أبحاث علوم الطبيعة من

العالم الإسلامي إلى أوربا وهنا اتخذ تاريخ العلم وجها جديداً تماماً.

وواجه العلم دنيا تسيطر عليها المسيحية فالواقع أن التعاليم الحقيقية لموسى وعيسى عليهما السلام هي نفسها تعاليم محمد ﷺ ، إلا أن الشيء الذي تقول به المسيحية هو شيء يعبر عن مذهب معتل، يضم أموراً إنسانية خلطت مع التعليمات الإلهية، وهي بشكلها الحالي لا تمثل الدين تمثيلا صحيحاً، وهذا هو السبب الذي لم يجعل العلم يصطدم بأي شكل مع الدين في بغداد وقرطبة، بينما اعتبروا العلم في كل من إيطاليا وفرنسا عدواً للدين.

نتيجة لكون المسيحية ليست دين الفطرة فقد نتج عن صراعها مع العلم الوصول للإلحاد. بخلاف الإسلام الذي لا يمثل العلم خطراً عليه ، لأن العلم هو ملاحظة الفطرة ووسيلة لتبيان الحق الذي هو دين الفطرة "الإسلام".

وقد توصل علماء الفلك المسلمون إلى مقياس يجعل من الإمكان أن تكون الأرض هي التي تدور حول الشمس، وذلك على عكس الفرض الذي افترضه أرسطو، وعندئذ لم يعتبر أي مسلم هذا الأمر معارضا للدين، وبعدها حين قال **نيكلسون كوبرنيكس** (١٤٧٣ - ١٥٣٣) بهذا الأمر اعتبرته المحكمة المسيحية مجرماً لأنه يحقر من شأن ابن الله فيجعل حياته تابعة للأجرام السماوية الأخرى، وقد أكد **ابن مسكويه** (١٠٣٠) أفكار الفلاسفة اليونانيين ودافع عن نظرية الارتقاء في الأحياء، فلم يتعرض الدين لأي خطر، ولكن حين قدم **تشارلز داروين** (١٨٠٩ - ١٨٨٢) هذه النظرية شاع الهرج والمرج في الدوائر المسيحية الأوروبية.

يشير القرآن والكتاب المقدس إلى أن الأرض خُلقت في "سِتَّةِ أَيَّامٍ" وإدراك العلم لهذا الأمر لم يعتبر تصادما أبداً مع القرآن، وقد قال العلم إن خلق الأرض مر بأدوار أكثر من هذا البعد الزمني لأنه ورد في القرآن صراحة أن المراد بـ "سِتَّةِ أَيَّامٍ"، ليس ستة أيام مما يعدها الإنسان، بل هي ستة أيام من أيام الله، وعلى العكس من هذا فإن ما جاء في الكتاب المقدس نتيجة لإضافة الكلام البشري وخلطه جعل المقصود بالأيام، أيامنا نحن التي تعني الليل والنهار وما يعده الإنسان طبقاً لإدراكه لتتابع الليل والنهار، ولهذا اعْتُبِر كافراً كل من يؤمن بالاكتشافات العلمية في نظر المسيحية. وتوجد أحداث كثيرة من هذا النوع تثبت أن الصراع الذي حدث بين الدين والعلم إنما هو في الحقيقة صراع بين العلم والمسيحية ولو أن تطور العلم - كما كان في بداية ظهوره - قد تم في العالم الإسلامي لتغير وجه التاريخ الآن عما هو عليه.

فالقرآن والكائنات كلاهما وجهان لحقيقة واحدة؛ فالقرآن مظهر لتصريف الكائنات، والكائنات تمضي بتدبير الأمر ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾، والعلم ليس سوى مشاهدة "تدبير أمر" الله، وهذا بالإضافة إلى أن علاقة هذا التدبير بقوانين الفطرة موجودة لأن كليهما يعملان دائما في حالة متشابهة متماثلة، ولهذا فيلزم لمعرفتها ولاستخدامها أن يوجد هناك انضباط فكري لنوع حسابي على مستوى الدقة، وهذا هو السبب في أن البلاغة المتناهية على مستوى الأدب والخطابة يقابلها صحة الفكر ودقته في مجال العلم. ومن هنا فالعلم يخدم الإسلام من ناحيتين: الأولى أنه يساعد الإنسان على أن يشاهد "آلاء ربه"، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله في هذا العالم؛ والثانية أن الفكر الذي يقوم على الأسلوب العلمي هو - بالتحديد - ما يريده القرآن من الإنسان.

والحقيقة أن حدوث صدام بين الدين والعلم كان مجرد حادثة عابرة، فلم تمض فترة بسيطة - أقل من قرن - حتى قوي المنطق الأساسي للعلم وبدأ العلم يعود لحالته الأصلية.

بعد الحروب الصليبية (١٠٩٩ - ١٢٧٠) تحول العلم - من جهة النظر الإسلامية - إلى صورة استشراق، ظهر الاستشراق في أوربا وقام بتسميم جميع الآداب الغربية بأفكار مضادة للإسلام، وكان هذا في الحقيقة استخداما جديداً للطريقة القديمة للأمم المسيحية، طريقة **الخديعة المقدسة Pious Frand**. فقد كان البديل عن فشل الحروب الصليبية قيامهم بمحاربة أهل الإسلام، فاستخدموا أسلوبهم، ونجحوا في هذا الأمر لدرجة أنهم ملأوا - ليس فقط كتب التاريخ والكتب الدينية بالأفكار المضادة للإسلام - بل أيضا كتب المعاجم والأدب، ولم تنج من هذا الأمر أيضا مسرحيات **شكسبير** أو أشعار **ملتن**، ولما كانت هذه الكتب التي طُبعت في أوروبا هي الوسيلة الوحيدة لقراءة الموضوعات العلمية في العصر الجديد، فإن الاستشراق الغربي ترك تأثيره الشديد ليس فقط على العقلية الأوروبية بل على العالم المثقف كله.

ووصل القرن التاسع عشر إلى نهايته وظهر تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴾، وظهر طوفان من الأفكار الموضوعية سيطر على العلم، وسيسيطر على الدنيا كلها، وكان تأثيره على الاستشراق واضحاً في كتاب "**الأبطال والبطولات" لتوماس كارلايل** (١٧٩٥-١٨٨١) وبعدها استمر هذا العمل وفي النهاية وصل الأمر إلى أنه كما قام فيضان الجمهورية بجعل الملكية الوراثية بلا معنى من وجهة نظر علم السياسة، لم يعد لهذه العقلية أي ظل علمي في الدنيا، وهي عقلية التشكيك والتشويه في تعاليم وتاريخ دين ما للإساءة إلى هذا الدين، وهكذا تعرض الاستشراق القديم للموت المفاجئ.

ومثال آخر على هذا التحول، ألا وهو الحركة العقلية الجديدة التي أطلق عليها خطأ **Anti science (حركة مضادة**

للعلم) بينما هي أصلا مضادة للمادة Anti material لا مضادة للعلم، وعلى العكس من الأمثلة المذكورة سابقا فإن هذه الحركة لم تتخذ لنفسها حتى الآن اتجاها واضحا وهي في معظم الأمر حركة رد فعل، وليست حركة مستقلة؛ فقد كان من نتيجة الحضارة الصناعية وحرية المرأة، تفكك الأسرة، وخلو علاقة الرجل بزوجته من القدسية الدينية، وأصبحت مجرد علاقة جنسية، ونتج عن هذا الأمر زيادة حالات الطلاق وحرمان الأطفال من تربية الوالدين وإضافة عدد آخر إلى عدد المجرمين المتزايد حيث تشهد البيوت حالات الطلاق المتكررة.

وبينما يخرج الزوج والزوجة كلٌّ إلى عمله، يوضع الطفل في دار حضانة أو مركز للرعاية، وهكذا يُحرم من حُضن الفطرة، ويُسَلَّم إلى حضن الآلة، وجاء في تقرير أمريكي أن هذا الأمر أدى إلى نتيجة فظيعة وخطيرة فقد ظهر مرض انتشر بين الأطفال أُطلق عليه "**أوتزم**" وفيه يكون الطفل سليما صحيحا جسمانيا وخاليا من كل الأمراض في الظاهر بينما هو ذو عقل معتل مليء بخلل عجيب.

وهناك العديد من المشاكل من هذا النوع مما جعل الناس يملون الحضارة الصناعية، ويهربون منها، ويرفعون شعارات العودة إلى الفطرة. وقد قام فريق من علماء علم الاجتماع البريطانيين بإجراء تحاليل وأبحاث أثبتوا من خلالها أن **مجتمع الإباحية Permissive Society** قد وصل إلى نهايته في بريطانيا، وبدأت العودة إلى العهد الفيكتوري الذي كان يُعتقد أنه انتهى تماماً وإلى الأبد في القرن التاسع عشر. وقد نُشر كتاب لأحد المؤلفين الفرنسيين في أمريكا ويدعى "**جين فرانكوانس ديويل**" عام ١٩٦١م واسمه **With out Marx or Jesus**، ويتضمن الكتاب ٢٧٥ صفحة يشرح فيها المؤلف وجود ثورة في هذا العالم، إلا أنها ثورة لا تقوم على الإلحاد أو الدين بل تقوم على قيم جديدة في الحياة سيكون من أكبر مظاهرها قيام حكومة عالمية وهذا هو الهدف الممكن والوحيد لأي ثورة (Ěď f).

العلم يخدم الإسلام من ناحيتين: الأولى أنه يساعد الإنسان على أن يشاهد "آلاء ربه"، وهذه هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله في هذا العالم؛ والثانية أن الفكر الذي يقوم على الأسلوب العلمي هو - بالتحديد - ما يريده القرآن من الإنسان.

عندما انتقلت أبحاث علوم الطبيعة من العالم الإسلامي إلى أوروبا المسيحية، واجه العِلمُ دُنيا يُسيطر عليها مَذهبٌ مُعتل خلط التعاليم الإلهية بالأمور الإنسانية، فاعتُبِر العِلم في كل من إيطاليا وفرنسا عَدُواً للدين واصطدم معه. بينما لم يصطدم العلم بأي شكل مع الدين في بغداد وقرطبة قبل ذلك.

لقد أرشد الله الناس إلى خيرهم، وعلى ورثة نبي آخر الزمان الآن أن يعملوا على الاستفادة من هذه الأرض، فيحاولوا إيضاح دين الحق حتى يقبله الإنسان الجديد.

وفي هذا العصر ظهرت عدة علامات ظواهر توضح بصورة عملية وجود إمكانيات جديدة لحركة الدعوة الإسلامية، ففي بلاد الغرب أشْهَر كبار المفكرين إسلامهم (مثلا **محمد أسد وعبد الكريم جرمانوس**)، و اعترف البعض منهم علانية وصراحة بتفوق الإسلام (مثلا **جورج برناردشو** ١٨٥٦ ـ ١٩٥٠).

ورغم جهلنا المستمر فلا تزال إمكانيات نشر دين الحق باقية حتى اليوم أيضا بصورة كاملة، فقد أعلن كل من **بانجو** رئيس الجابون سنة ١٩٧٣، والرئيس **بوكاسا** رئيس أفريقيا الوسطى سنة ١٩٧٦، **وراجه وأتوك** أمير سراوك سنة ١٩٧٧ إسلامهم، وهناك أمثلة أخرى عديدة تعد شواهد جديدة على الإمكانية المتوفرة للدعوة الإسلامية في العصر الحديث وهذه الأحداث توضح من أين يجب أن نبدأ كفاحنا من أجل أن نكسب من جديد معركتنا الضائعة.

يقول ابن القيم:

فأكثر الخلق، بل كلهم إلا مَن شاء الله يظنون بالله غيرَ الحقّ ظنَّ السَّوْءِ، فإن غالبَ بنى آدم يعتقد أنه مبخوسُ الحق، ناقصُ الحظ وأنه يستحق فوقَ ما أعطاهُ الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربّي، ومنعني ما أستحقُّه، ونفسُه تشهدُ عليه بذلك، وهو بلسانه يُنكره ولا يتجاسرُ على التصريح به، ومَن فتَّش نفسَه، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأى ذلك فيها كامناً كُمونَ النار في الزّناد، فاقدح زنادَ مَن شئت يُنبئك شَرَارُه عما في زِناده، ولو فتَّشت مَن فتشته، لرأيت عنده تعتُّباً على القدر وملامة له، واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقِلٌ ومستكثِر، وفَتِّشْ نفسَك هل أنت سالم من ذلك؟

فَإِنْ تَنجُ مِنْهَا تنجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ ... وَإِلاَّ فَإِنِي لاَ أَخَالُكَ نَاجِيَاً

فليعتنِ اللبيبُ الناصحُ لنفسه بهذا الموضع، وليتُبْ إلى الله تعالى وليستغفِرْه كلَّ وقت من ظنه بربه ظنَ السَّوْءِ، وليظنَّ السَّوْءَ بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبعُ كل شر، المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السَّوْءِ من أحكم الحاكمين، وأعدلِ العادلين، وأرحم الراحمين، الغنيِّ الحميد، الذي له الغنى التام، والحمدُ التام، والحكمةُ التامة، المنزّهُ عن كل سوءٍ في ذاته وصفاتِه، وأفعاله وأسمائه، فذاتُه لها الكمالُ المطلقُ من كل وجه، وصفاتُه كذلك، وأفعالُه كذلك، كُلُّها حِكمة ومصلحة، ورحمة وعدل، وأسماؤه كُلُّها حُسْنَى.

فَلا تَظْنُنْ بِرَبِّكَ ظَنّ سَوْءٍ ... فَإِنَّ اللهَ أَوْلَى بِالجَمِيلِ
وَلا تَظْنُنْ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْراً ... وَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولِ
وَقُلْ يَا نَفْسُ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ ... أَيُرجَى الخَيْرُ مِنْ مَيْتٍ بَخِيلِ
وَظُنَّ بِنَفْسِكَ السُّوأَى تَجِدْهَا ... كَذَاكَ وَخَيْرُهَا كَالمُسْتَحِيلِ
وَمَا بِكَ مِنْ تُقًى فِيهَا وَخَيْرٍ ... فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الجَلِيلِ
وَلَيْسَ بِهَا وَلاَ مِنْهَا وَلَكِنْ ... مِنَ الرَّحْمنِ فَاشْكُرْ لِلدَّلِيلِ

(ĕčĒ-ččđ) đШ / þ₲ƶđž!ƒ þƒƨ

المرأة الملحدة.. قصة مأساة!!

الجزء الثاني

بقلم: م/ أميرة الجلباب *

وما زالت فصول المأساة مستمرةً في قصة امرأة رضيت بأن ترزح في قيود الإلحاد.. وقد ضُرب عليها ذل الرق وأغلال العبودية.. فصارت أَمَة لكل شيء إلا لله!
تتوالى فصول القصة في مسرح الإلحاد لا يصاحبها من الألحان إلا لحن واحد شجي.. هو لحن المأساة!

لم يكتف الإلحاد بوصمة العار التي وصم بها المرأة إلى الأبد، حين وصمها بالأصل الحيواني في قصة الخلق الأولى.. ولأن حياة الإنسان وسلوكَه يتأثران بأصله؛ صارت النزعة البهيمية عند الملحدة تهيمن على كل مناحي الحياة، وتصاحبها خلال مختلف مراحلِ عمرها وحتى موتها!

رماها الإلحاد بالدونية والتخلف عن الرجل في سلم التطور حسب ما قررته نظرية النشوء والارتقاء.. ثم تتابع الازدراء والاضطهاد على المستوى العملي بما لا يقل فجاجة وقبحا عن المستوى النظري!

بهيمية حتى الموت!

لقد حط الإلحاد من قيمة المرأة عندما ازدراها في أصل الخلق، ثم مرة أخرى لما ازدراها في نظريته التطورية، حيث بقيت أكثرَ بدائية من الرجل في عملية الارتقاء، ونظرا لتخلفِها الطبيعي هذا؛ أصيبت الملحدة بمُركب نقص دائم، جعلها تسعى لتعويض هذا النقص بالسعي الحثيث للمطالبة بالمساواة بالرجل في كل شيء إلى الدرجة التي طالب فيها البعض بإلغاء الفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة بعد أن ثبت علميا أن هذه الفروق هي المنبع الرئيس للتمايز بينهما، وليست الفروق الاجتماعية أو البيئية كما كانوا يدعون!! وظهر لهم أن الاعتداء هو اعتداء الطبيعة، واتضح أن حرب المرأة الملحدة من أجل المساواة هي في الحقيقة حرب مع الطبيعة وليست حربا مع المجتمع!..

وقد توصلت حركة المرأة في الغرب بعد تجاربَ دامت قرنا من الزمان إلى أن الحقائق البيولوجية تشكل عقبة في سبيل حصول المرأة على درجة متساوية مع الرجل، فهو "اعتداء" الطبيعة وليس اعتداءا من قِبل المجتمع!.. وظهرت مطالبات باستخدام علم تطوير الأجنة لتعديل شفرة الوراثة (الجينات) داخل رحم الأم، وذلك لأجل استحداث نظام أحيائي يولّد نساءً من نوع جديد!، فيُنهي هيمنة الرجال، ويؤدي إلى إقامة مجتمع يتساوى فيه الجنسان من حيث الكفاءة والقدرات!! [ج].

هكذا!! استحداث نساء من نوع جديد!! كما تُستحدث سلالات جديدة من البهائم!!

مأساة المساواة .. ومنافاة الطبيعة!

إن مبدأَ المساواة الذي تؤمن به المرأة الملحدة هو مبدأ ينافي الطبيعة ويعارضُها؛ وذلك بسبب الاختلافات الجسمية، والنفسية، والعضوية، والعقلية، التي تخالف فيها المرأةُ الرجلَ، وهذه المنافاة مع الطبيعة انعكست آثارُها السيئة على حياة المرأة الملحدة ومجتمعها بما يؤول بهما نحو الدمار المحقق!.. وهذا ما ثبت علميا عبر الأبحاث والدراسات الاجتماعية المهتمة بهذا الصدد.

يقول "**د. اليكسيس كاريل**" (١٨٧٣-١٩٤٤) - الحائز على جائزة نوبل - الذي قام ببحث هذه القضية في ضوء علم الأحياء بدقة وشمول:

الفروق التي توجد بين الرجل والمرأة لا ترجع فقط إلى الاختلاف في هيئة الأعضاء التناسلية ووجود الرحم، وعوارض الحمل، أو أسلوب التعليم، بل هي تعود إلى طبيعة أكثر أساسية؛ فالتباين بينهما ناتج عن تكوين الأنسجة نفسها، وعن تشرُّب النظام الجسماني كله بموادَّ كيماوية معينة تخرج من المبيض، وقد أدى الجهل - بهذه الحقائق الأساسية - بأنصار حركة تحرر المرأة إلى الاعتقاد بضرورة التماثل في التعليم والسلطة والمسئولية بين الجنسين، مع أن الحقيقة هي أن المرأة تختلف عن الرجل اختلافا عميقا، فكل خلية من خلاياها تحمل بصمات الأنوثة، ونفس الأمر ينطبق على أعضاء جسدها أيضا، بل وفوق ذلك

ينطبق هذا الأمر على نظامها العصبي نفسه، إن القوانين الفسيولوجية (أي الخاصة بوظائف الأعضاء) صلبةٌ كالقوانين التي تتحكم في حركة النجوم ولا يمكن تبديلها برغبات البشر فعلينا أن نقبلها كما هي، وينبغي على النساء تنمية قدراتهن مع الإطار الذي وفرته لهن الطبيعة بدون محاولة تقليد الرجال، إن مساهمتهن في تقدم الحضارة البشرية أكبرُ بكثير من الرجال، وينبغي ألا يتخلين عن أدوارهن المتميزة »[ð].

ويؤكد الباحث الأمريكي "**ستيفن غولدبرغ** Steven Goldberg" في كتابه "**حتمية النظام الأبوي** The Inevitablility Of Patriarchy" المنشور سنة ١٩٧٧ على أن تباين الرجل عن المرأة في المجتمع ليس بسبب ضغوط اجتماعية في واقع الأمر، بل الفروقُ الطبيعية الأساسية بين الجنسين هي الأسباب الحقيقية[d]

ويقول خبير علم النفس "**د. بنداك**":

« إن العوامل الأحيائية (البيولوجية) تغلب على الشخصية، إنّ تمتُّع الرجل بمزايا السيادة إزاء المرأة يرتبط بالطبيعة، خلافا لما كان يُعتقد بأنه مكتسب من البيئة الثقافية »[Þ].

إن مبدأَ المساواة الذي تؤمن به المرأة الملحدة هو مبدأ ينافي الطبيعة ويعارضُها؛ وهي في حربها من أجل المساواة إنما تخوض في الحقيقة حربا على الطبيعة التي أوجدتها -على حد زعمها- فهي في ثورة عارمة ضدها، وتذمر يائس من نوعها الإنساني الذي اختارته لها!!

أما العالم الروسي "**أنطوان نيميلوف**" الذي كان يتطلع إلى أن تتحقق المساواة الشاملة بين الرجل والمرأة يوما ما، يعترف بنفسه أن هذه الرغبة تُناقض علم الأحياء ولأجل ذلك لم نتمكن من تحقيقها عمليا حتى الآن، ويقول:

« تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في الحياة العملية ليس أمرا هينا أو بسيطا، ففي الاتحاد السوفييتي بُذلت الجهود للمساواة بين الرجل والمرأة أكثر من أية بقعة في العالم، فلم توضع في أي بلد قوانينُ أكثر تسامحا مع المرأة مثلما وُضعت في الاتحاد السوفييتي، لكن الواقع هو أن وضعها في الأسرة لم يتغير إلا على نطاق محدود »[d].

ثم يقول:

« إن المبدأ الثوري يصطدم هنا بقوة مع واقع طبيعي يحظى في حد ذاته بأهمية كبيرة، أي مع حقيقة أن الجنسين لا يتماثلان من الناحية البيولوجية، ولم يتم تكليفهما بأعباء متماثلة »[Ê].

« إن علم الحياة (البيولوجي) يثبت فروقاً بين المرأة والرجل تبدأ في وقت مبكر جداً قبل الحمل، ويظهر ذلك في الفروق الموجودة بين الحيوان المنوي

للذكر وبويضة الأنثى. فبعد أبحاث طويلة قام بها العالم الأمريكي "د.شبنلر" وأعوانه، وجد أن الكروموزوم (x) الذي ينتج الأنثى يتميز بأنه يتجمع جنبا إلى جنب، وأنه بطيء الحركة وإن كان أكثر تحملاً للبيئة؛ ولذلك يعيش مدة أطول، كما أنه ينتعش ويزداد حيوية إذا وجد في المواد الحمضية. أما الكروموزوم (y) الذي ينتج الذكر فإنه يتمتع بسرعة الحركة والحيوية الشديدة، ويزداد حيوية وانتعاشا إذا وجد في المناخ القلوي، ولكنه أقل تحملا لظروف البيئة، ويموت بسرعة [ē].

ومن العلماء الغربيين الذين كان لهم أثر في بيان (الفروق البيولوجية) الأساسية بين الرجل والمرأة عالِم يدعى **(بار)** وهو أول مكتشف للخاصية التي تتلخص في أن خلية الأنثى تحتوي في طرف منها على جسم كروي صغير لا يوجد في خلية الرجل، ثم تتبع ذلك في كل الخلايا في الدم والكبد والقلب والأمعاء وباقي الأنسجة فثبتت الحقيقة، وهي: أن كل خلية من خلايا الأنثى تتميز عن خلايا الذكر بهذا الجسم الكروي. إلى غير ذلك من الفروق البيولوجية التي بين الذكر والأنثى [Ē].

كما أن علم وظائف الأعضاء التشريحي (الفسيولوجي)، يُثبت اختلافات بين المرأة والرجل في الهيكل العظمي كالجمجمة، والقفص الصدري، والعمود الفقري، وعظام الأطراف، وفي الوظائف العضوية لكل منهما تبعا للاختلافات البيولوجية بينهما.

وهي كذلك تختلف عن الرجل تشريحياً: من حيث العضلات، ومقدار الدهن وتوزيعه، والجلد والشعر، والقلب وأنابيبه، والحنجرة، والجهاز التناسلي، والجهاز العصبي، وكذلك تختلف عن الرجل في الوظائف العضوية: كالحيض والحمل والوضع والرضاعة، وكالدورة الدموية والدم، والتنفس، والصوت. كما أن هناك اختلافات بينهما من الناحية النفسية (السيكولوجية) فالمرأة عاطفية بدرجة أكبر من الرجل، كما أن انفعالات المرأة أكثر حدة وفجائية من الرجل [ē].

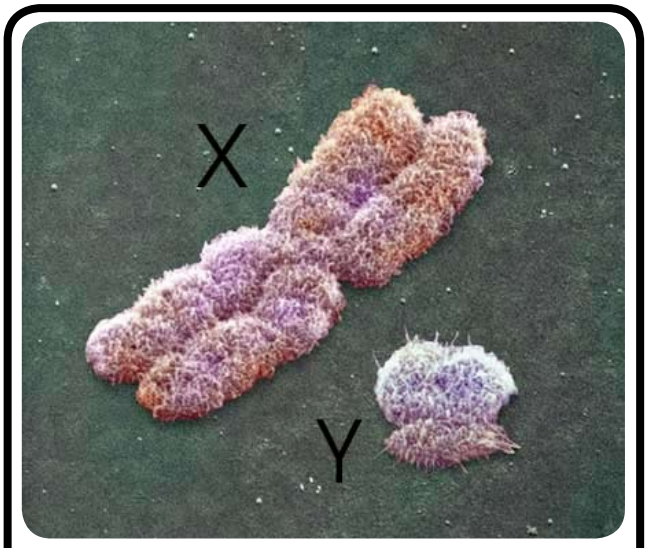

كروموزومي x و y كما يظهران في نواة الخلية

ولعل مما يؤكد هذه الاختلافات النفسية بين الجنسين، ما أثبته الطبيب العالمي **"روجرز سبراي"** [čč] - الحائز على جائزة نوبل في الطب - من أن هناك جنسا للمخ، مما يعني وجود اختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة، لا يمكن من خلالها إحداث مساواة في المشاعر، وردودِ الأفعال ومختلف المواقف، والقيام بنفس الأدوار، الأمر الذي تشكل فيه فكرة المساواة بين الرجل والمرأة، نوعاً من القهر والظلم للمرأة. فمخ الرجل ما هو إلا مخ أنثوي مضاف إليه هرمون التستُسترون Testosterone أي هرمون الذكورة [čč].

كما أثبتت الأبحاث العلمية اختلافاً واضحا بين المرأة والرجل في القدرات العقلية، من حيث التفكير، والذكاء، والإدراك، وتحليل المواقف، والنمو العقلي، وغيرها من القدرات العقلية [ČĎ].

ففي مقال نشرته مجلة (**الريدرز دايجست**) في عدد ديسمبر عام ١٩٧٩م تحت عنوان (**لماذا يفكر الأولاد تفكيراً مختلفاً عن البنات**) وهو عبارة عن ملخص لكتاب (**الدماغ : آخر الحدود**) للدكتور "**ريتشارد ديستاك**"[čd]، جاء فيه:

إن الأبحاث العلمية تبين أن الاختلاف بين الجنسين ليس عائداً فحسب إلى النشأة والتربية[١٤]، وإنما يعود -أيضاً- إلى اختلاف التركيب البيولوجي، وإلى اختلاف تكوين المخ لدى الفتى عن الفتاة.

كما جاء فيه:

وما يعتبر اكتشافاً مذهلاً، هو أن تخزين القدرات والمعلومات في الدماغ يختلف في الولد عنه في البنت.. ففي الفتى تتجمع القدرات الكلامية في مكان مختلف عن القدرات الهندسية والفراغية، بينما هي موجودة في كلا فصي المخ لدى الفتاة، ومعنى ذلك أن دماغ الفتى أكثرُ تخصصاً من مخ أخته.

كما جاء في هذا المقال:

ويقول أستاذ علم النفس في جامعة جورجيا توراناس: إن المساواة بين الجنسين تشكل عقبة كأداء في القدرات الخلاقة، فالقدرات الخلاقة لدى الفتاة تحتاج إلى الحساسية والصفات الأنثوية، بينما تحتاج في الفتى إلى الاستقلالية وصفات الرجولة. وعلينا ألا نتجاهل الحقائق العلمية البيولوجية، فنحاول أن نجعل تربية الفتى مماثلة لتربية الفتاة، ودور الفتى في الحياة مماثلاً لدور الفتاة، لأننا فقط نرغب في ذلك.. فهذا التفكير المبني على الرغبات يصادم الحقائق العلمية ا.هـ باختصار.

وقال تعالى:

إن المرأة الملحدة في حربها من أجل المساواة إنما تخوض في الحقيقة حربا على الطبيعة التي أوجدتها -على حد زعمها- فهي في ثورة عارمة ضدها، وتذمر يائس من نوعها الإنساني الذي اختارته لها.. ويحق لنا بذلك أن نسأل المرأة الملحدة: لماذا تتذمرين على الطبيعة التي أوجدتك؟

ألم تبعث إليك هذه الطبيعة برسائل محبة تطمئنك إلى حسن اختيارها؟ ألا تثقين في حسن اختيارها؟ ألا تحمدينها على فعلها وتشكرين اختيارها بدلا من هذا التذمر؟ أهذا هو الوفاء ورد الجميل لمن أحسن إليك؟ أم أنك تعتبرين أن وجودك في الحياة شيئًا غير حسن ولا يستحق الشكر؟ فإن كان كذلك فما أتعسها من حياة!

إن كنت تعتبرين كونك "أنثى" شيئا حسنا؛ فعليك أن ترضَي باختيار الطبيعة وأن تشكريها على النوع البشري الذي وهبته لك، وإذا كنت لم ترضَي به وأبيتِ إلا التذمر؛

فأنت غير مقتنعة بصنع الطبيعة التي أوجدتك وتصرفها فيكِ! وهذه إشكالية كبيرة!

فإن لم تتوصلي لحلها فلا معنى لتشبثك بالحياة حتى الآن! فالوضع المنطقي لكِ هو الموت..

إن عدم انتحار الملحدة -التي تسعى للمساواة بعد أن ثبت علميا أن موانع المساواة بيولوجية بحتة - يُعد تصرفا غير عقلاني ولا منطقي! كما يُعد أيضا تصرفا متناقضا مع مبدأ الإلحاد نفسه!

إن عدم انتحار الملحدة - التي تسعى للمساواة بعد أن ثبت علميا أن موانع المساواة بيولوجية بحتة - يُعد تصرفا غير عقلاني ولا منطقي! كما يُعد أيضا تصرفا متناقضا مع مبدأ الإلحاد نفسه!!

الواقع يشهد بفشل مبدإ المساواة!

بالرغم مما وُضع من تشريعات لتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في جميع دول العالم، واضمحلال العقبات -القانونية أو العرفية- التي تحول دون انطلاقة المرأة إلا أن المساواة التامة مع الرجل لم تتحقق في أي مجال حتى الآن! وإن لب المشكلة يكمن فيمن اتخذ من مبدإ "المساواة" عقيدة بدون أساس!!

وفيما يلي خلاصة ما قالته دائرة المعارف البريطانية بهذا الصدد:

> لقد زالت اليوم جميع القيود الاجتماعية القديمة، وسُن قانون المساواة بين الرجل والمرأة في كل دول العالم، وبالرغم من ذلك تعاني المرأة الحديثة من وضعٍ أدنى إزاء الرجل، وهي لم تحصل على درجة مساوية للرجل في أي من مجالات الحياة، وتوضح هذه الحالة أن تباين وضْع المرأة عن الرجل لم يكن بسبب تلك العوامل التي تذرع بها دعاة تحرر المرأة، لأنه لو كانت تلك هي الأسباب الحقيقية لحصلت المرأة على المساواة الكاملة مع الرجل في منتصف القرن العشرين، وذلك ما لم يتحقق حتى الآن.. وهذا يحتم البحث عن سبب آخر.. وقد اكتشف العلم الحديث هذا السبب الآخر وهو أن الفروق بين الجنسين ليست ناتجة عن عوامل اجتماعية، وإنما بسبب تباينهما في التكوين الإحيائي (البيولوجي) حتى فيما قبل الولادة، فالأسباب الحقيقية تكمن في التكوين البيولوجي، وليست في الأحوال الاجتماعية، وقد أجريت بحوث علمية كثيرة في أعقاب الحرب العالمية الثانية وهي تقرر بحزم أن هناك فروقا جوهرية من الناحية البيولوجية بين الجنسين، وسيبقى التباين في وضعهما الاجتماعي ما بقيت هذه الفروق البيولوجية [ĉđ].

إن دعوى المساواة التامة بين الرجل والمرأة مجرد شعار يرفع ويُنادى به وليس له رصيد على أرض الواقع، ﴿فعلى سبيل المثال: مجال الوظائف الإدارية العليا داخل أروقة الأمم المتحدة نفسها ما زال يميل وبنسبة كبيرة لصالح الذكور دون الإناث﴾[ĉĒ]، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى!

﴿ إن قضية المساواة ليست مقنعة من الناحية العلمية البحتة، فلو كانت سيادة الرجل ترجع إلى الظروف الاجتماعية بدل المزايا التكوينية الطبيعية لَتَكَوَّن مجتمع بشري في مكان أو زمان ما في العالم تتمتع فيه المرأة بالسيادة، وذلك ما لم يسبق حدوثه في أي عصر من عصور التاريخ، ولم يحدث هذا حتى في المجتمعات الاشتراكية التي تعتبر نفسها في طليعة المنادين بالمساواة بين الجنسين، وينقل الباحث الأمريكي **"غولدبرغ"** عن **"د.مارغريت ميد"** - باحثة علم الإنسان التي قضت جل حياتها في دراسة المجتمعات البشرية وكانت على صلة وثيقة بحركة تحرير المرأة- قولها: (**إن كافة الادعاءات عن وجود مجتمعات كانت تتمتع المرأة فيها بالسيادة باطلة، ولا أساس لها من الصحة، ففي كل عهود التاريخ كان الرجل يتمتع بالسيادة في الشئون العامة، وكان يمتلك السلطة المطلقة للبت في شئون البيت**)، ويعقب **"غولدبرغ"** قائلا: (**إن مخ الرجل يؤدي وظيفته بأسلوب مختلف عن أسلوب مخ المرأة، وقد لوحظ هذا التباين من خلال تجارب أجريت في المختبرات على الذكور والإناث من الفئران بحقنها بمادة** Testosterone **المسئولة عن تكوين خصائص مخ الطفل الذكر**)﴾[ĉē].

الحضارة المادية تدَّعي إعلاء شأن المرأة نظريا، بينما هي في الوقت نفسه تنتقص من قيمتها عمليا!!

وقد ظهرت مؤخرا اعترافات المناصرين للمساواة من أمثال الداعيات المتحمسات جدا لتحرير المرأة تُظهر فتورهن واستسلامهن للحقيقة الواضحة بفشل هذا المبدإ والوهم الكبير في أواخر حياتهن!، ﴿ فقد لوحظ أن القيادات النسائية يعانين في خريف أعمارهن من القنوط بعد أن قضين جل حياتهن داعيات متحمسات للحركة النسائية الجديدة، مثل الكاتبة الأسترالية الجريئة **"جيرمان غرير"**، وعلى حد وصف مراسل صحيفة "إنديان إكسبريس": تبدو "جيرمان غرير" أكثر هدوءا ونضجا في الوقت الحالي، لقد تلاشى بشكل غريب ذلك الحماس الذي كانت تتميز به لدى تأليف كتابها الأنثى المخصية Female Eunuch، وهي تعرب الآن عن مخاوفها قائلة: (**إن الحركة النسائية الجديدة نجحت في حل بعض المشكلات بينما خلفت لنا مشكلات أخرى جديدة**) وقد عرفت غرير بآرائها المتحررة في شبابها، إلى حد أنها دعت إلى إلغاء مؤسسة الزواج التقليدي﴾[ĉĔ].

﴿ نعم.. بعد كفاح دام حوالي قرنين لم تتحقق للمرأة المساواة التامة مع الرجل بعد! ولم يتمخض عن حركة تحرير المرأة عمليا سوى أن المرأة غادرت بيتها، وأصبح بالإمكان مشاهدتها وهي تتجول مع الرجل في كل مكان، لقد فقدت المرأة أنوثتها ولكنها لم تتمكن من الوصول إلى الغاية التي فقدت من أجلها أنوثتها، أي المساواة مع الرجل في كافة المجالات﴾[ĉĕ].

المعاناة النفسية.. والاضطهاد!

وإن من أبرز مآسي المساواة البهيمية التي تتبناها المرأة الملحدة أنها أصبحت بمخالفتها لفطرتها غير منسجمة مع هذا الكون، ولا الحياة صارت مواتية لها، ولا الطبيعة اتفقت معها أو سايرت أوهامها.. فبقيت المرأة الملحدة تعاني الضغوط الشديدة في صراعها مع الطبيعة من جهة، ومع نفسها التي بين جنبيها من جهة أخرى!

وكانت هذه المعاناة النفسية والصراع نتاجا طبيعيا لمخالفة الفطرة والسنن الإلهية، والتوازن الكوني.

فمعارضة الطبيعة لم تتسبب في فشلها في الوصول إلى غايتها فحسب، بل زادتها ضررا على ضرر، ذلك أن الطبيعة عندما تَحدد لكل شيء فيها مكانا مناسبا فإن أي محاولة بشرية لتغيير ذلك بإزاحة الشيء عن موقعه الحقيقي سيكون سببا حتميا لحدوث الخلل.

فهذه عالمة الأحياء الأمريكية **"ميرا هنت"**، تقول: **إن النساء الأمريكيات أصبحن يُصبن بالشيخوخة في سن مبكرة نتيجة صراعهن لتحقيق المساواة مع الرجال**.

وتقول: **إن هذا الاتجاه نحو الشيخوخة في أوساط النساء يبدو جليا في كافة أجزاء الولايات المتحدة، إلا أنه يلاحظ بصفة خاصة في المدن، حيث تدخل النساء العاملات في منافسة مباشرة مع الرجال في عالم الأعمال**.

وتقول اختصاصية أمراض النساء **"إليزابيث كاني"** في تفسير أسباب هذه الشيخوخة السابقة لأوانها:

إنها ناجمة عن تغييرات هرمونية تطرأ بسبب الضغوط غير الطبيعية التي تتعرض لها النساء للتفوق على الرجال... [ĎČ].

ويحصل هذه الخلل وهذه المصائب بسبب مخالفة المرأة الملحدة للفطرة التي خلقها الله جل وعلا عليها، حين تسعى وراء وهم المساواة التامة، الذي لا يمكن أن يتحقق إلا بضريبة تدفعها من صحتها وأسرتها ومجتمعها.

إن مبادئ الحياة التي يتبناها الإلحاد والمذاهب المادية لم تتوافق مع الطبيعة بأي حال من الأحوال، لذا برز التناقض المروّع بين تلك المبادئ والحقائق الثابتة بأسرع مما كان يتصور، وذلك على مستوى الفرد والمجتمع، وظلت حالة الفوضى والاضطراب تتفاقم مع مرور الزمن!

إن الحضارة الحديثة - من خلال سعيها للمساواة بين الذكر والأنثى - قد أوقعت المرأة في حالة دائمة من عدم المساواة، وتحتل المرأة درجة أدنى من الرجل في كافة مواقع الحياة التي تعمل بها في الغرب، وهي بالإضافة إلى هذا، تقوم بدفع الثمن المضاعف لعدم مساواتها من خلال تعرضها لاعتداءات الرجل في كل مكان [ĎČ].

جاء في تقرير عن أوضاع المرأة الأمريكية العاملة أن: (المضايقة الجنسية للمرأة العاملة مرض مستوطن).

وطبقا لتقرير لجنة تقصي الحقائق التي أنشأها مجلس حماية الكفاءات الرسمية Official Merits Protection Board أن نحو ٤٢ ٪ من العاملات في مكاتب الحكومة الفيدرالية يتعرضن للمضايقة في مواقع أعمالهن، وقال ٦٠٪ من عضوات الاتحاد الأمريكي لموظفي الدولة والأرياف والبلديات: إن المضايقة الجنسية مشكلة معتادة بالنسبة إليهن.

وكانت الشكاوي حول هذا النوع من المضايقات قد وصلت إلى ٧٠٪ من مجموع الشكاوي خلال سنوات ١٩٨١-١٩٨٥ طبقا لأرقام لجنة مساواة الفرص في الوظائف التي أنشئت لمراقبة الممارسات الوظيفية[ÐÐ].

ولنا أن نتساءل.. لماذا تبقى المرأة الملحدة في ظل الحضارة الحديثة مضطهدةً تعاني من هذه الأوضاع السيئة رغم التشريعات القاضية بالتساوي بين الرجل والمرأة، وقوانين عدم التعرض للنساء العاملات في الوظائف المختلفة؟!

لماذا تبقى المرأة الملحدة في ظل الحضارة الحديثة مضطهدةً تعاني من هذه الأوضاع السيئة رغم التشريعات القاضية بالتساوي بين الرجل والمرأة؟!

الحقيقة أن هذه الأوضاع ليست وليدة المصادفة ولا يمكن القضاء عليها بسهولة بل هي أكثر تعقيدا من أن تُحل بإجراءات قانونية، ولا يمكن حل هذه المشكلات الناجمة عن المساواة التامة إلا بالعودة إلى الوضع الطبيعي، ولن تنتهيَ هذه المصاعب ما دام الوضع المناوئُ للطبيعة قائما![Ðd]

وما زال التمييز قائما !

إن هناك حضارتين فقط في التاريخ البشري قامتا بالانتقاص من قيمة المرأة وهما: حضارة الشرك القديمة، والحضارة الإلحادية الحديثة، وقد انتقصت الحضارة الأولى من قيمة المرأة من الناحيتين النظرية والعملية معا، بينما انتقصتها الحضارة الثانية من الناحية العملية وحدها![ÐÐ]

وكانت حضارة الشرك القديمة قائمةً على الأساطير والخرافات، واختلقت آراءً لا أساس لها من الصحة حول مختلف الأشياء والظواهر، وكان الإنسان القديم يؤمن بمعتقدات لا عقلانية أنتجت أوضاعا عملية فاسدة بالنسبة للمرأة، حيث توَّهم عظمَة بعض الأشياء، فبدأ يعبدُها، كما توهم "تفاهة" أشياء أخرى فأخذ يزدريها، وكانت المرأة من ضمن هذه الأشياء "التافهة".. ومن هنا انتقص من قيمة المرأة نظريا وعمليا.. أما في الحضارة الإلحادية الحديثة، فالمرأة في المجتمع الغربي (المتقدم جدا) تحظى من ناحية بوضعٍ عملي مماثل لوضعها في المجتمع القديم، فما زال التمييز قائما في توزيع الأعمال بين الرجل والمرأة في الغرب، ومجالات عملها تختلف عن مجالات عمل الرجل حتى في الغرب. ودعاويهم لا تعدو أن تكون مجرد فكرة غير عملية![Ðd]

وقد أعلنت الحضارة الغربية الحديثة - في ظاهر الأمر- إعلاء شأن المرأة نظريا، وقالت: إن المرأة والرجل يتمتعان بأوضاع مماثلة، وأنه بوسع المرأة إنجازُ كل عمل يقوم به الرجل، وبالتالي يجب على المرأة أن تخرج من بيتها لتحتل مكانتها بجانب الرجل في كل مواقع الحياة، ونظرة الحضارة الحديثة هذه تجاهَ المرأة تبدو في ظاهرها وكأنها ترفع من شأن المرأة، بينما الحقيقة هي أنها –من الناحية العملية- قد انتقصت من قيمتها، والواقع أنه بالرغم من دعاوي "المساواة"

الخلابة فإن المرأة الغربية تتمتع بدرجة أدنى من الرجل في جميع شُعب الحياة الحديثة [ĎĚ].

في الإسلام.. العدل لا المساواة!

المفهوم المادي للمساواة قائم على مفهوم التماثلية التامة (لا التكاملية) بين المرأة والرجل، دون اعتبار لأي فروق بينهما، سواء كانت فروقاً جسدية، أو نفسية، أو عقلية، (وهي ما تسمى علميا بالفروقات البيولوجية، والفسيولوجية، والسيكولوجية)، هذه الفروق التي اعترف بها علماء الغرب أنفسُهم من خلال دراساتهم وأبحاثهم، بينما المفهوم الشرعي للمساواة (العدل) بين المرأة والرجل قائم على مفهوم التكامل بينهما، واختصاص كل منهما بخصائص تختلف عن الآخر؛ بحيث يكمل كل منهما الآخر، ويقوم بما أوجبه الله عليه في عمارة هذا الكون [Ďě].

وقد جاء الإسلام قبل ١٤ قرنا بحركة "لتحرير المرأة" تهدف إلى تخليصها من أسر القيود المصطنعة وتمكينها من الحصول على الوضع الذي تستحقه في حقيقة الأمر، وقد رفعت هذه الحركة الإسلامية لتحرير المرأة من شأن الأنثى دون أن تخلق للمجتمع مشكلة جديدة. ولم تتجاوز تجربة الإسلام هذه حدودها لأنها أجريت على ضوء الوحي الإلهي، وفي مقابل ذلك لم تلتزم تجربة الغرب الحديث حدودَها لأنها تمت على ضوء العقل البشري وحده (أو بالأحرى بدافع العاطفة) فخلقت مشكلات اجتماعية عديدة [ĎĚ].

إن (القانون الإلهي) النافذ في الكون يعبر عنه القرآن (بالميزان)، قال تعالى:

وقد أودع الله تعالى توازنا دقيقا في كافة الأشياء لدى خلقها، والوضع الطبيعي يتطلب إقامة التوازن بين كل أجزاء الكون بدقة ليقوم كل جزء أو عضو بأداء وظيفتِه على الوجه الأكمل، والعالَم الإنساني كذلك، يتطلب إقامةَ التوازن بين مختلف أفراده، بالشكل الذي يضمن لكل فرد أن يستكمل ذاته دون أن يثير مشكلة للآخرين، وأن يواصل سيره بدون أن يحدث صداما غير ضروري مع الآخرين، وقد جاء في القرآن:

والانحراف عن ميزان الله تعالى أو (قانون العدل الإلهي) هو عين الفساد [Ďě]، قال تعالى:

وهذا ما حدث في العلاقة بين الرجل والمرأة حين اختل الميزان!

إن مبدأ المساواة في الإلحاد ينافي الطبيعة ويعارضها كما أسلفنا.. بينما جاء الإسلام بما يتلاءم مع الطبيعة وينسجم معها ولا يعارضها، فبقي كل شيء في مكانه، وجاءت النصوص الشرعية بمثابة رسائل ممن خلق الأرض والسماوات العلى، تبعث في نفس المرأة المؤمنة روحَ التفاؤل والاطمئنان والرضا بنوعها البشري بلا احتقار ولا ازدراء، وبكل الاحترام والتكريم، مما يضفي السكينة على قلب المرأة المؤمنة ويشعرها بقيمتها وأهمية دورها في الحياة.

إن مبدأ العدل في الإسلام مبدأ ناجح وعملي وفعال، بينما مبدأ المساواة المطلقة بين الجنسين في الإلحاد واللادينية مبدأ فاشل بكل المقاييس.

إن الإسلام يتعامل مع وضع المرأة بواقعية ويعطي الحقائق التي ينبغي أن يكون عليها، بينما الإلحادُ يعطي أساطيرَ وخيالاتٍ لا تصلح للقيام إلا في الأذهان فقط، وبمراعاة حكمة الإسلام في تنظيم شئون الحياة وتوزيع الأعمال على كل نوع لِما خلق من أجله يبقى مسار نظام الحياة سليما ومتوازنا، وبانعدام هذه الحكمة يفقد نظام الحياة توازنه ويتجه نحو الدمار.

إن الإسلام يتعامل مع وضع المرأة بواقعية ويعطي الحقائق التي ينبغي أن يكون عليها، بينما الإلحادُ يعطي أساطيرَ وخيالاتٍ لا تصلح للقيام إلا في الأذهان فقط.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

---

* م/ أميرة الجلباب

هندسة اتصالات وإلكترونيات، وباحثة في قضايا المرأة

الهوامش:

[١] "المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية"، وحيد الدين خان، ص٩٣.

[٢] "Alexis Carrel, OP, cit., p ٩١". نقلا عن "المرأة بين الشريعة الإسلامية والحضارة الغربية، ص٣٨.

[٣] "المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية"، ص٣٦.

[٤] المصدر السابق، ص٨٠.

[٥] Anton Nemilov, The Biological Tragedy Of Woman (London), ١٩٣٢ P.٧٦

[٦] Anton Nemilov, The Biological Tragedy Of Woman (London,١٩٣٢) P.٧٧، نقلا عن "المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية" ص٩٤-٩٥.

[٧] "قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية"، د. فؤاد بن عبدالكريم، ص٢٤٨.

[٨] "وظيفة المرأة في المجتمع"، علي القاضي، ص١٦، نقلا عن "قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية، د. فؤاد بن عبدالكريم، ص٢٥٠، بتصرف.

[٩] "قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية" ص٢٦٠، بتصرف.

[١٠] انظر: صحيفة الجزيرة، العدد (٧٤٥٣) بتاريخ١٤١٣/٩/٢هـ. نقلا عن "قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية" ص٢٥٦.

[١١] "قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية" ص٢٥٦.

[١٢] المصدر السابق، ص٢٦٠، بتصرف.

[١٣] عمل المرأة في الميزان/ محمد البار ص٨٠ وما بعدها، نقلا عن "قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية" ص٢٥٦، وما بعدها.

[١٤] كما يريد أن يثبت ذلك الداعون إلى المساواة التامة بين المرأة والرجل.

[١٥] " المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية "، ص٣٥-٣٦.

[١٦] "قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية"، ص٢٤٥.

[١٧] ملخص تحقيق صحفي نشرته جريدة ديلي إيكسبرس اللندنية بتاريخ ٤ يوليو ١٩٧٧، نقلا عن " المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية "،ص ٣٧، بتصرف.

[١٨] "المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية"، ص١١٥-١١٦، بتصرف.

[١٩] المصدر السابق، ص ١٢-١٣، بتصرف.

[٢٠] جريدة الرياض – العدد (١٠١١٢)، بتاريخ ١٤١٦/١٢/١هـ، نقلا عن " قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية"، ص٣١٢.

[٢١] "المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية"، ص٤٠.

[٢٢] المصدر السابق، ص٤١-٤٢، بتصرف.

[٢٣] المصدر السابق، ص٤٣، بتصرف.

[٢٤] المصدر السابق، ص٥٧.

[٢٥] المصدر السابق، ص٥٦، ٥٧-٥٨، بتصرف.

[٢٦] المصدر السابق، ص٥٨، بتصرف.

[٢٧] "قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية" ص١٣٣، بتصرف.

[٢٨] "المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية"، ص٥٦-٥٧، بتصرف.

[٢٩] المصدر السابق، ص٣٠، وما بعدها، بتصرف.

ماذا تعرف عن السَلَفِية اللادينية ؟

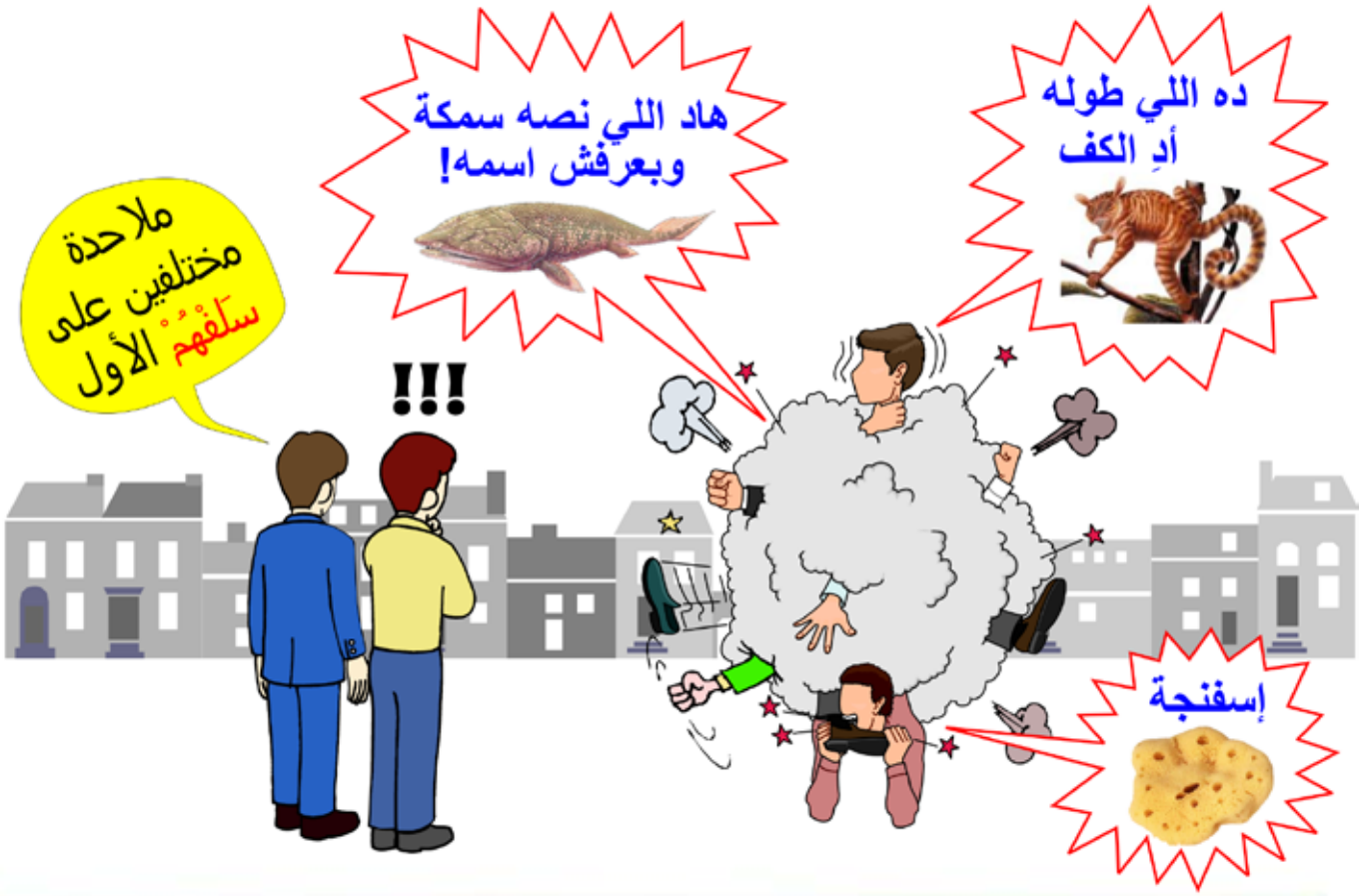

ملح إنجليزي !!

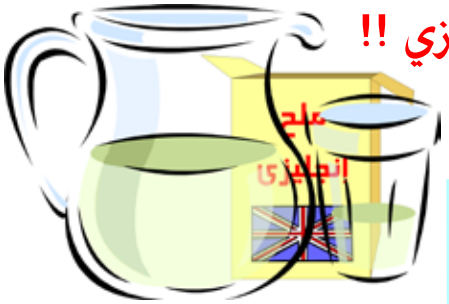

توعَّكَتْ صحة الأديب عبدالرحمن الرافعي فعاده الشاعر حافظ إبراهيم، وإذ شكا الرافعي من إمساك شديد يلازمه قال له حافظ: أخذت مِسهل؟

فأجاب: أيوه. أخذت ملح إنكليزي.

قال: وخرجت عليه؟

فأجاب: لا، مع الأسف.

فقال له حافظ: هُمِّ الإنكليز يدخلوا حِتّه ويخرجوا منها بسهولة؟

طربوش !!

ومما يُقال أيضاً من طرائف الشاعر حافظ إبراهيم أنه كان يركب القطار فطلب اليه أحد المواطنين أن يقرأ له خطابا. فقال: لا أعرف القراءة فنظر المواطن إليه وقال: أنت لابس طربوش ولا تقرأ. فما كان من حافظ إبراهيم إلا أن وضع الطربوش علي رأسه وقال له: اقرأ أنت!

جواب الشَعْبي

الإمام المحدث الفقيه التابعي أبا عمرو عامر بن شراحبيل (الشَعْبي) عُرف بطريف جوابه على المبالغين في السؤال. فمن ذلك أن رجلاً سأله عن المسح على اللحية في الوضوء فقال له الشعبي: خللها (أي: أدخل أصابعك بين شعر اللحية) فقال الرجل: أتخوف أن لا نبلها. فقال الشعبي: إن تخوفت فأنقعها من أول الليل!.

وآخر سأل الشعبي: هل يجوز للمحرم أن يحك بدنه؟ فأجابه الشعبي: نعم. فقال الرجل: مقدار كم؟ فقال الشعبي: حتى يبدو العظم.

وسال بعض السوقة الشعبي عمن صلى العيد قبل أن يشتري لأهله ناطفة (نوع من الحلوى) ما كفارته. فقال الشعبي: كفارته أن يتصدق بدرهمين!! فلما ولى السائل قيل للشعبي في ذلك، فقال: لا بأس يفرح قلوب المساكين بدراهم هذا الأحمق.

سؤال العدد ؟

Ÿƒ ĠnjŽƥÄĐ ÜNJķŏLjƒƥơÄÄ Ÿƒ ƥÄηÄ ǏĿŽ NJ!ƥk NJǏƽLj ǏĿŽ DžƥƇ LJhƒ Ŏƽ ŧŏƧÄƨư ŧηơÄ ŎǏƽLj ýŏ!ƥ LJƇƨI!ƒ Ŏƽ ĆĠη ƥpÄ Ü NJķŏLjƒƥơÄÄ Ÿƒ ƥÄηÄĥ ƨƒƨpú! ƥƒƥžkǏŮƒ Dźnjŏƽ ƽIơk! ΣĠLj!ƒ Ŏƽ ŷηÄ ƀŽ ĠnjŭhIŏ ŧηơ ÔNjÄ ÜDžŏĿŽk ĂĐ LJŏIĿk LJÄƥ NJǏƽLjh ƽIơkdž ĠnjkÄhIÄ ÜĠnjh OŏƧ Ƭk!ƒ ŧŏÄhLj!ƒ ŧLjǏ!ƒÄ DžŏƧ‡!ƒ ƥĠǏƽƍ LJŽ ƝkLjŏÄ ÜĠNjƧ‡Ljŏ ŮÄ Ġnjh ƧIŏÄ ýlž!ƒ ÜƲŏƧŽ ƥĠǏƽÄ ýŭư ŧηơ!ƒ ljRnj! LJĠǏLjŮƒ ĆƒÄǏ ƥĠơ!Ůƒ NJŏƥĠžŏ Gdž ƥTĐ LJdž KLjĠ‡ ƒRnj!Ä ĂĐ ÜŧŏƥĠdž!ƒ KĠŏηÄ!ÄŏƥŏŮƒ ýŭP LJdž ĠnjLjƒƧ‡Ljh ŧdžƒƥnj!ƒ KĠ‡Ƨơ!Gh ĠNjƧÄƥ ƥĠǏƽƍ ǏĿŽ ýdžž!ƒ .ŧŏLjƒÄnjT!ƒ ĂĐ ŧŏLjƛÄ!ƒ

جواب سؤال العدد السابق:

دليل الحدوث

أو

مبدأ السببية

سمكةٌ تاريخيةٌ تهربُ من الماء.. !!!

بقلم الأستاذ: أبو الفداء

الموحد: هل يُمكن لسمكةٍ أن تهربَ من الماء؟

الملحد: ما هذا الكلام؟ السمكُ لا يعيشُ إلا في الماء!

الموحد: ولكن داروين يرى خلافَ هذا! داروين يقول: أن السمكةَ هربتْ من الماء!

ألم يقل أنّ أصلَ ظهور البرمائيات ومن ثمَّ الزواحف اضطرارُ بعض الأسماك إلى الخروج من الماء والزحف على سطح الأرض؟

الملحد: بلى، ولكن ليس على هذا النحو الهزلي الذي تتصوره أنت!

الموحد: فكيف إذا؟

الملحد: أنا أقول لك كيف!

لما ضاقت سبل العيش على بعض صنوف الأسماك تحت الماء لجفاف مسطحات الماء أو نحو ذلك من الأسباب، أوشكت تلك الأنواع أن تنقرض.. فكان أن ظهرت طفرات جينية عشوائية عبر آلاف السنين، كان في بعضها بدايات ما يمكن أن يعمل كنظام للتنفس خارج الماء.. لم يكن نظام تنفس في الحقيقة، وإنما بدايات ضعيفة لما يمكن أن يكون كذلك.. فخرجت بعض صنوف الأسماك التي ظهرت فيها تلك الطفرات– مجترئة على هذا الأمر للمرة الأولى في التاريخ - إلى خارج الماء، فكانت تخرج قليلا – زحفا – ثم ترجع، وهكذا، حتى ظهرت طفرات أخرى فيها ما هو أقرب للجهاز التنفسي من سابقاتها، فالتي كانت طفراتها الجينية تعينها على البقاء لمدة أطول خارج الماء، كان يطول تعميرها نسبة

إلى غيرها، وتزيد فرصها في التناسل، أما ما سواها فيهلك، وهكذا، حتى ظهرت صنوف البرمائيات وتطورت ليظهر منها الزواحف!

الموحد: هذا الذي تقوله يستحيل حدوثه عقلا!

الملحد: فلم؟

الموحد: بحسب نظرية داروين، فإن الارتقاء يقوم بالأساس على آليتين: آلية الانتخاب الطبيعي، وآلية الطفرات العشوائية.. أما الانتخاب الطبيعي فمعناه كما تقول، وهو أن كل كائن يولد بصبغة جينية غير ملائمة فإنه يفنى ولا يتكاثر، بينما تستمر الصبغة الصالحة فقط. وأما الطفرات العشوائية فمعناها ظهور صبغات جينية جديدة بصورة عشوائية لا ضابط لها ولا نظام. وبغض الطرف عن كون الطفرات التي نراها لا تزيد عن كونها تشوهات جينية يتغير فيها الشريط الجيني بالنقص دائما لا بالزيادة، فإننا سنتنزل معك ونقول أن من الطفرات ما يمكن أن يضيف إضافة جديدة إلى قاعدة بيانات الحامض النووي من خلال إنشاء جينات جديدة بخصائص جديدة أو "أعضاء جديدة"! فهاتان الآليتان يفترض أن نقبل أنه بهما –وحدهما- ارتسمت تلك القصة التي رسمها الداروينيون لتطور الكائنات بداية من أحاديات الخلية ووصولا إلى الإنسان!

فالآن لو قلنا أن هناك ما حمل أنواعا من الأسماك على الخروج من الماء كما تدعون، وكان الفناء حتميا لكل سمكة لا يمكنها التنفس خارج الماء كما هو معلوم، إذا للزم أن يفنى من فوره بالكلية كل نوع من تلك الأنواع لا يمكنه التنفس خارج الماء، فلا يبقى منه شيء! فلا يتصور عاقل أن جفافا يصيب مسطحا مائيا هكذا بغتة ومع ذلك يبقى فيه شيء مما يعيش تحت ذلك المسطح من أسماك وحيتان حيا بعد جفافه! إلا إن كانت تلك الأسماك تحت ذلك المسطح مجهزة مسبقا بنظام كامل للتنفس البري إلى جانب الخياشيم، حتى إذا ما وقعت تلك الكارثة زحفت تلك الأسماك – اضطرارا - على البر وواصلت حياتها هناك ليظهر منها الزواحف فيما بعد كما تتصورون!! فهل تقولون بأن تلك الأسماك كانت مجهزة من قبل الخروج من الماء تجهيزا تاما؟

الملحد: لا، لا تكون مجهزة تجهيزا تاما ولا شيئا من ذلك، إنما ما يصلح منها للبقاء فإنه يبقى، وما لا يصلح فإنه يفنى!! هذا هو الأمر فحسب، دونما تنظيم خارجي مخصوص ولا نظام للموازنة ولا شيء مما تقول!!

الموحد: فهل ترى أنه يمكن لكائن حي أن يتنفس بنصف جهازٍ تنفسي؟

الملحدُ: نعم، لو أن فيه ما يدخل به الأكسجين إلى الجسم ولو بنقص أو بصورة ليست متكاملة بعدُ فإنه قد يصلح، فإن لم يصلح فلعله يأتي في طفرة أخرى ما هو أصلح منه، وهكذا!

الموحد: ولماذا يأتي أصلا؟ وما معنى أن تظهر طفرات فيها شبه رئة -ولن تعمل يقينا، ولن تبقي صاحبها حيا ما لم تكن رئة صالحة للعمل من أول ظهور لها- ثم تظهر طفرات بعدها فيها رئة أحسن – هذا إن بقي أصلا من الكائنات ما يصلح للتناسل قبل ظهور تلك الطفرة الناجحة – إلا أن يكون هناك غاية محددة تتبعها تلك الطفرات وتحاول بلوغها بشكل ما؟ إذن تتابع هذه الطفرات لبلوغ ما تسمونه الارتقاء العضوي هو في حد ذاته يهدم كون هذه الطفرات عشوائية، ولا سيما إذا انضاف إلى ذلك حقيقة أن ذلك الارتقاء العضوي – بحسب تصوركم – لم يقع مرة أو مرتين فقط، وإنما لا يزال يجري عليه أمر الكائنات الحية كلها من بداية الخلية الواحدة، وفي كل مرحلة من مراحل التطور وصولا إلى الإنسان!! فالحاصل أنه يجب أن تخرج لنا رئة كاملة ونظام تنفسي صالح لتلك الأسماك من قبل أن تنحسر عنها المياه مثلا حتى تصبح من البرمائيات وتعيش على البر، ليس هذا فحسب، بل تحتاج كذلك نظاما للحركة يعينها على التحرك في اليابسة، وإلا لم تفدها تلك الرئة شيئا، إذ ستموت في مكانها لعجزها عن الانتقال بحثا عن الطعام وهروبا من الوحوش!

الملحد: وما يدريك أن الأسماك لم تظهر فيها طفرة عشوائية تجعل فيها ما تقول بالفعل، وذلك من قبل وقوع الحدث الذي اضطرها إلى الخروج من الماء؟ قد يكون ذلك كذلك!

فالطفرة عشوائية بالأساس، فلا نظام يحكمها ولا ترتبط بوقوع حدث بعينه ولا دخل لها بذلك ولا دراية! فأقول إنه عبر ملايين السنين من عمر الكائنات الحية كان هذا ما يحدث في كل مرة، وهذا ما أدى في النهاية بالكائنات الحية إلى هذه الهيئة التي نراها!

الموحد: إذا تلك السمكة التاريخية لم تهرب، وإنما خرجت من الماء مجهزة بالفعل! أليس كذلك؟

الملحد: بلى!

الموحد: والزاحف التاريخي الذي احتاج للأكل من فوق الأشجار لأول مرة، لم يغير وجبته المفضلة إلا بعدما استطاع تسلق الأشجار، أليس كذلك؟

الملحد: بلى!

الموحد: كانت الزرافة إذن تأكل من الأرض ولا ضرر، حتى طالت رقبتها جدا فبدأت حينها فقط – لا قبل ذلك – تعتمد على الأكل من أعالي الأشجار.. أهذا صحيح؟

الملحد: نعم، فمن الواضح أن الطفرة العشوائية الصالحة التي يتم انتخابها تظهر قبل فناء النوع!! وأما الأنواع المنقرضة فلا تنقرض إلا لتأخر تلك الطفرة الصالحة عنها!!

الموحد: الآن ناقضت نفسك! فأولا: أنا لا أتكلم عن الأنواع التي تنقرض، ولكن عن الأنواع التي تنشأ!

وثانيا: فإنه بهذه التقريرات التي قررتَها وقبلتها في كلامي قد انتفت صفة الضرورة عن عملية الارتقاء، وانتفت فكرة الانتخاب الطبيعي من أساسها! فلو أن السمكة البرمائية -المجهزة مسبقا بنظام للتنفس البري- قد بقيت داخل الماء أو خارجه فإنها لم تكن لتتضرر.. ولو أن ذلك الزاحف الذي صعد الشجرة قد أكل من فوق الشجرة أو من تحتها لما تضرر، ولو أكلت الزرافة كذلك من عشب الأرض أو من جنى الشجرة لكفاها على السواء ولا فرق! فكيف يقال بعد ذلك أن الطفرة تأتي لتضيف عضوا جديدا عند ظهور الضرورة إليه؟! إنَّ الانتخاب الطبيعي إذن لا دخل له بالمحرك الفعلي لعلمية التطور هذه، ولا هو يفسرها ولا الطفرة! وسواء وقعت الطفرة الجديدة أو لم تقع، فكل كائن إذا عجز عن التأقلم مع بيئته فإنه سينقرض ولا فرق! فما هو المحرك الفعلي الدافع لهذا التطور طورا بعد طور، ودرجة فوق درجة على هذا النحو الذي نراه في قصتكم؟

إن خلاصة القول: أنه حتى مع نظريتكم الهزلية هذه فلا مفر لكم معها من خالق مدبر يسيرها ويضبط نظامها!

عندئذ لاذ الملحد بالصمت ولم يحر جوابا.

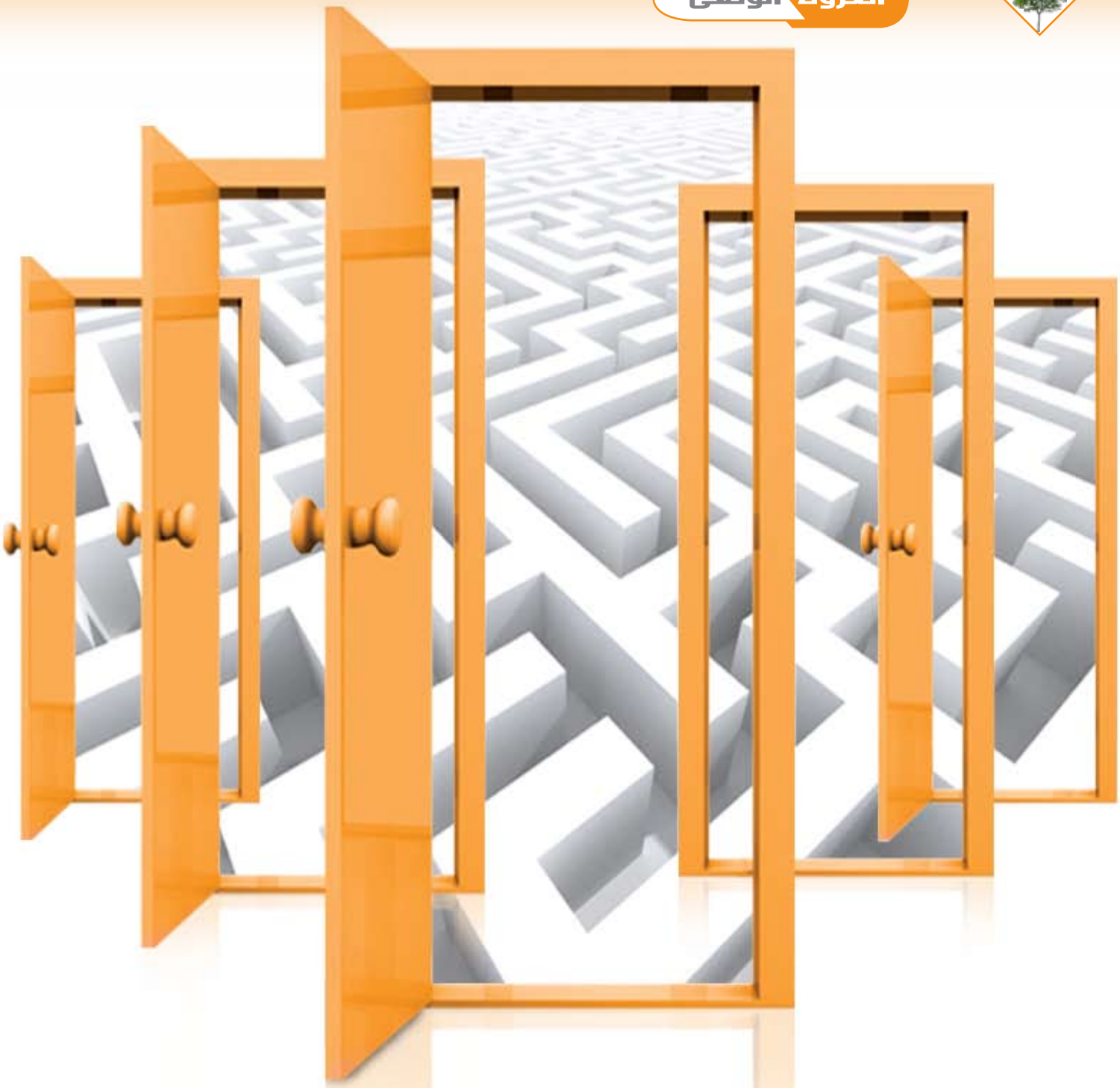

لا أعلم هويتي

الجزء الأول

بقلم د. حسام الدين حامد

منتدى التوحيد
منتدى التوحيد > الأقسام العامة > قسم الحوار عن الإسلام
لا أعلم هويتي
قسم الحوار عن الإسلام (القضايا المتعلقة بالإسلام وتحدياته ووسائل نشره وتطبيقه والشبهات المثارة حوله)
إضافة رد
أدوات الموضوع ▼ ابحث في هذا الموضوع ▼ تقييم الموضوع ▼
حائر
عضو
المذهب أو العقيدة: لا أدري
المشاركات: 1
الإخوة الكرام، صدقوني لا أعلم ماذا أفعل في هذه الأيام، حرقةٌ في قلبي تقتلني، أحتاج إليكم وأحتاج معونتَكم، أعلم أن وراء هذا الكون خالقًا ولكنني متكبر لدرجة عدم التصديق، صدق القائل: إن الكفر عناد! وأنا أحد هؤلاء المعاندين الرافضين الخضوع، هل هناك علاج لمشكلتي؟؟
ما أريده فقط إقناع عقلي بوجود الخالق، إقناعٌ وإيمانٌ مطلق، أريد أن أصل إلى الراحة التي وصلتم لها، ولا أعلم أين الطريق؟!
اقتباس

هكذا قال السائل الحائر قبل إسلامه ضمن ما قاله، وسنعرض جواب د. حسام الدين حامد عليه الذي كان سببا في هدايته إلى الإسلام، لعل الله أن يهدي به قوما آخرين.

يقول د. حسام الدين حامد ردا على ذلك السائل:

تقول: "أعلم أن وراء هذا الكون خالقًا ولكنني متكبر لدرجة عدم التصديق".

متكبر على من؟ على الله؟! أظننت العبادة حطة لك؟!

لا يا زميلي، هذا جحودٌ لا اعتدادٌ بالنفس!

أرأيت إلى ولد غذاه أبواه صغيرًا، وأنفقوا عليه صغيرًا وكبيرًا، وعلموه وربوه، ورعوه وكفلوه، وأحاطوه بالعناية والرعاية، حتى إذا بلغ أشُده تركهم دون بِر، وترك طاعتهم ظنًّا منه أن الطاعة في ذلك تنافي اعتدادَه بنفسه!! أليس هذا بجحود؟!

بلى، فمنةُ الله عليك أعظمُ من ذلك !

أتريد أن أعدُدها لك أم تعرفها؟! أم تراني لا أحصيها عددًا؟!

فبعد أن يُتم عليك نعمه ظاهرةً وباطنةً تقول: "كِبْر"!! إن العبادة هي أعلى درجات الحب!! فما لك تنأى عنها؟!

ماذا عليك إن قلتَ: "آمنتُ بالله" ثم استقمت؟! ما يضرك في هذا؟!

إن أحد المتكبرين سينادى يوم القيامة وهو في النار: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾، أتراك تسير في دربه وطريقه؟!

ليس الطريق هنالك، فاسمع مني..

تعال أطوف بك في متاهات تصل بك إلى الإيمان ونستخرج من أرحام الحيرة جنين اليقين.

وماذا عليّ إن دخلت عليك من باب عقلك وألقيت عليك الحجة حتى ترضى وأرضى !

ثم ماذا عليّ إن دلفت إلى باب العاطفة حتى ترضى وأرضى ! ثم ماذا عليّ إن ولجت إلى باب الفطرة أهزُّها هزّا علّك تفيق !

ماذا عليّ إن خاطبتك ورأينا أيهما أذكى عقلًا وأيهما أنضج فكرًا، الإيمان أم الإلحاد؟!

أولًا: الرسول والرسالة

المثال الأول:

أريدك أن تتخيل معي دجالًا كذابًا يدّعي أنه مرسلٌ من عند الله ويموت ولدُه، وفي يوم موت ولده تنكسف الشمس، وحين تنكسف الشمس يقول الناس: "**إن الشمس انكسفت من أجل ولده**" أريد منك أن تُقلِّب هذا الأمر ظهرًا لبطن وبطنًا لظهر وترى كيف سيتصرف هذا الدجال؟! أعمِل عقلك كثيرًا في هذه المسألة ورِ كيف سيتصرف دجالٌ وُضعت له هذه الفرصة الذهبية للترويج لنفسه!!

لقد قلتَ: "أقرأ الفلسفة الإسلامية ولا أستطيع الاقتناع بها، أقرأ الفلسفة الإلحادية وأعجب ببعضها".

فأخبرني في الفلسفة الإلحادية كيف سيتصرف دجالٌ وُضع في الموقف السابق ؟.

ثم تعال معي..

يموت إبراهيم ابن النبي ﷺ وتنكسف الشمس، ويتحدث الناس: "**إن الشمس قد انكسفت لموت ابن النبي ﷺ**"، ويشمت المشركون: "**لقد بُتر محمد**" أي لم يعد له أولاد يحملون اسمه من بعده، ويصرخ أحد الصحابة حزنًا.

أما عن انكساف الشمس: فلو أن النبي ﷺ سكت ولم يتكلم لاستقر عند الناس أن الشمس انكسفت لموت ولده إبراهيم، مجرد السكوت كان يكفي!! ولو أنه سكت لقلنا كانت مصيبةُ موت ولده شديدة!! مجرد السكوت كان كافيًا!! لكن..

لكنه ﷺ يقول: ﴿ **إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد، ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتصدقوا وصلوا** ﴾!!.

هكذا بوضوح ودون أي لبس أو غموض!!

إن رجلًا لا يكذب على الله ﷻ في مسألة كهذه لن يكذب عليه في أنه رسول من عنده، أليس كذلك ؟ بلى.

ثم ماذا؟!

ثم في خضم هذا الحزن تُشرع صلاة الكسوف ويصلي النبي ﷺ بأصحابه صلاة الكسوف، ويخطب فيهم خطبة يتكلم فيها عن عذاب القبر ولا يتكلم عن ولده بشيء!!

ثم ماذا؟!

ثم عندما يسمع من يصرخ من الصحابة حزنًا على موت ولد النبي ﷺ ينهاه عن ذلك ويقول إن ذلك من الشيطان!!

ثم ماذا؟!

ثم يقول ﷺ : ﴿ **تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى الرب، والله ! إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون** ﴾.

ثم ماذا؟!

ثم لا يرد على المشركين!! ولا يتوعدهم من حينه!! ولا يرد لهم الصاع صاعين!! بل تنزل السورة الكريمة:

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

لو تأملتَ السورة لوجدتها بشارةً للنبي ﷺ بالكوثر، ولو كان -وحاشاه - دعيًّا أكان يُسلي نفسه بالكذب؟!

إن النبي ﷺ لو كان سيكذب -وحاشاه - فلن يكذب على نفسه ويقول: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ أو يقول: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وعندما تنزل عليه الآية يأمر الصحابة الذين كانوا يحرسونه بترك الحراسة لأن الله وعده أن يعصمه من الناس، أتراه إلا صادقًا؟ نعم والله! صادقٌ مصدوقٌ.

ثم تأمل السورة تجدها تكليفا بالعبادة ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾، أولو كان الرد من عنده -وحاشاه - وليس من عند الله أكان يكلف نفسه المزيد من العبادة في هذا الوقت الذي مات فيه ولده وشمت به الكفرة؟!!

ثم يأتي الرد عليهم في آخر السورة: ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾.

هذا موقفٌ واحدٌ من حياة النبي ﷺ تجاه حدث موت ابنه، وجدناه فيه يدفع عن نفسه ما زعمه الناس أن الشمس كسفت لموت ولده، ويصلي صلاة الكسوف ويخطب عن عذاب القبر، ويأتي الرد على الكفار فيه تسلية له بما له في الجنة وتكليف بالعبادة وفي آخره الرد عليهم، ويمنع أصحابه من المبالغة في الحزن مع حزن قلبه على ولده وهو في ذلك لا يقول إلا ما يرضي الرب عز وجل..

ولم يسكت ليفهم الناس أن الشمس انكسفت من أجل ولده، ولم يقعد عن العبادة وقام لصلاة الكسوف، ولم يكن ليخدع نفسه بتسلية من عند نفسه بالكوثر، ولم يكن ليزيد العبادات عليه ولم يكن ليمنع أصحابه من المبالغة في الحزن لو كان كاذبًا صلى الله عليه وسلم وحاشاه.

التفسير الإسلامي: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾.

التفسير الإلحادي: لن تجد تفسيرًا مقنعًا.

يـــتـبـــع ..

هل قام الغرب فعلا بإخصاء الملاحدة والعلمانيين العرب فكريا ؟

بقلم د.elserdap

كان الجنود الألمان ممنوعين من الإساءة إلى الغجر والسلاف واليهود وهم في طريقهم إلى الحرق في أفران الغاز لأن هذا يعني شكلا من أشكال الإساءة لحقوق الإنسان وخدشا لكرامته .. وقد عوقب أحدُ الضباط الألمان لأنه كان يحيطُ أُسرَ الضحايا علما بإعدام أقاربِهم على (كارت بوستال) مفتوح بدلا من ظرفٍ مغلق.

وكان إعدامُ الغجر والسلاف واليهود والأقزام وغيرِهم في أفران الغاز الهتلريةِ تعبيرا عن إرادة الشعبِ الحُرةِ في استئصال الأغيارِ وتنقية الجنس الآريِّ الأشقرِ الجميل .

وفي ١٤ يوليو ١٩٣٣ أصدر النازي قرارا بتعقيم ٤٠٠ ألف شابٍّ عن طريق تمريرِهم على تردُّداتٍ عالية من أشعة (إكس) حتى يفقدوا القدرةَ على الإنجاب؛ فهؤلاء الشبابُ كانوا مصابين بأمراضٍ نفسية وعصابية كثيرة ربما تضر الأجنةَ. وكان **هتلر** يقول إن "أفران الغاز" والتعقيم ليست سوى "أدشاش" تُستخدَمُ من أجل الصحة العامة.

وهتلر جاء إلى الحكم بطرقٍ ديموقراطية محترمةٍ وجميعُ قرارات النازي كانت نابعةً من إرادة الشعب وطموحِه الديموقراطي الذي يجب أن يُحترم، فلا مانع من إبادة الملايينِ طالما صدر القانونُ بإرادة الشعب وبمنتهى الديموقراطيةِ والشفافية.

وإبادةُ ملايين العراقيينَ والأفغانَ في العقد الأخير تمت أيضا بديموقراطيةٍ وشفافيةٍ تُحسدُ عليها أمريكا ولا ننسى

أن قرارَ الإبادة صدر من الكونجرس وبموافقةِ مجلسِ الأمنِ ولم يكن النازيون يتحدثون مطلقاً عن "الإبادة" وإنما عن "الحل النهائي" وكذلك لم تتحدث أمريكا عن الإبادة وإنما عن عبءِ الرجل الأبيضِ ومسئوليتِه في مواجهة الإرهاب..

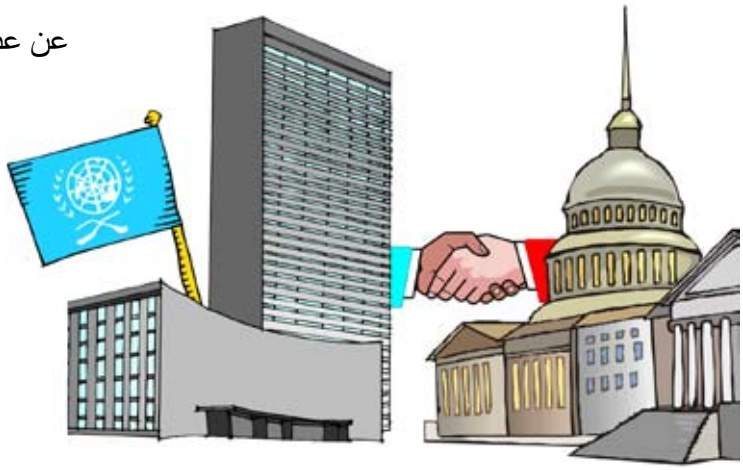

وفي عمليات الإبادة توجدُ محاذيرٌ كثيرةٌ أيضا فمثلا لا تجوز الإساءةُ لمن بقي حيا بسجون أبي غريب وأيةُ محاولةِ إساءة ستُعَرِّضُ صاحبَها لعقوبة رادعةٍ وبالفعل تمت إحالةُ ضباطٍ للتحقيق بتهمة التورطِ في إساءة معاملة المساجينِ لأن هذا يعني انتهاكا لحقوق الإنسان وخدشا لكرامته.

هذه الديموقراطيةُ العبيطةُ التي تم تفصيلُها على مقاس الإنسانِ الغربي والتي تُمركزُ الإنسانَ الغربيَّ يحدثنا عنها الدكتور **المسيري** في الصفحات الأولى من موسوعتِه قائلا :-

> **فالإنسان الغربي يتحدث –على سبيل المثال– عن "عصر الاكتشافات" وهي عبارةٌ تعني أن العالم كلَّه كان في حالة غيابٍ ينتظر الإنسانَ الأبيضَ لاكتشافِه. وحروبُ العالم الغربي تُسمَّى "الحروب العالمية" ونظامُه الاستعماريُّ يُسمَّى "النظام العالمي الجديد".**

إلى هنا لا توجدُ أدنى مشكلةٍ فالقضيةُ واضحةٌ وضوحَ الشمسِ فهؤلاء مجموعةُ لصوصٍ ومجرمين لا يَخفَون على أغبى مُخبر (ولا ننسى أن المسروقات التي سرقتها إنجلترا من الهند تفوق كل ما انتجته إنجلترا منذ الثورة الصناعية .. بل حتى الماسة التي ترصع التاج البريطاني مسروقة من البنجاب في الهند ..) (ولا ننسى أن **ديك تشيني** - نائب الرئيس الأمريكي السابق- وقف يوما ما وقال: "**هناك رجل في الشرق الأوسط يضع يده على عُشر احتياطي العالم من البترول إنه صدامُ حسين**". ومع أن الجنرال **زيني** مستشارُ **بوش** الرسمي قد أخبر **بوش** أن العراق يُمثل خطرا من الدرجة السادسة في منطقة الشرق الأوسط إلا أن هوس البترول يجعلها خطرا من الدرجة الأولى ويتم تبرير الإبادة) ولكل لص أن يُبرّر جريمته كيفما شاء لكن أن يتم الترويج للتغريب والأمركة في بلادنا العربيةِ وأن يصير التغريبُ قيمةً في حد ذاتِه فهذا هو الإخصاءُ بعينه.

عندما سُئل وزيرُ الثقافةِ المصريُّ **فاروق حسني** - بحسب جريدةِ المصري اليوم - بخصوص مسألة انتشار الحجاب في الآونة الأخيرة قال: **ارتداءُ المرأة المصرية للحجاب عودةٌ إلى الوراء. النساءُ بشعرهِن الجميل كالورود، التي لا يجب تغطِيتُها وحجبُها عن الناس.. نحن نذهب لنستمعَ إلى فتاوى شيوخٍ بتلاته مليم! من وجهة نظري المرأة المُحجبة مُعاقةٌ ذهنيا**.

يا ترى مَن الذي قام بإخصاء أكبر رأس في المؤسسة الثقافية في مصر؟ ولحساب مَن تم إخصاؤه؟

يقول الدكتور **عبد الوهاب المسيري** في موسوعته (١/ ٢٣٠) :

عملية الخصي والمُرتبات المرتفعة التي يتقاضاها بعض مثقفي العالم الثالث من المنظمات الدولية أو الدولِ الأجنبية أو النُظمِ الحاكمة: فهذه المُرتبات تمكِّنهم من العيش حسب أسلوبِ حياةٍ معينةٍ لا يمكنهم الاستغناءَ عنه فهو كالطاجن الذي يُدمنه الغرزجي،وبعد قليل يفقد هؤلاء الإرادةَ الحرةَ المستقلة أي أنها عمليةٌ تشبه الخصي تماماً، فيعتمدون اعتماداً كاملاً على ولي نعمتِهم وينفذون أوامرَه دون تساؤل.

أي أن الخِصاءَ تم الترتيبُ له مُسبقا وبرضى الشخصِ المخصي!

عندما تسألُ أيَّ ملحدٍ هل يجوز ممارسةُ الشذوذ الجنسيِّ الذي يتم برضى الطرفين؟ سيجيبك بأنه يكره الشذوذَ الجنسي وأن الشذوذ الجنسي (حاجة وحشة خالص)، لكن.. لا مانع من ذلك! طالما كان برغبتهما! وسيقول لك: هل أنت ضد الحرية الشخصية والديموقراطية؟!

يا ترى مَن الذي قام بإخصاء هذا الملحد وتمييع هويتِه ومبادئه إلى هذا الحد؟

يُسجل لنا التاريخُ أول عمليةِ إخصاءٍ فكري في العصر الحديث ويرويها لنا **الجبرتي** في كتابه "عجائبُ الآثارِ" (٥/ ١٣٤) قائلا:

ولقد نجحت الحملة الفرنسية على جهة الأقباط النصارى في مصر، فتكَوَّنَ فيلقٌ قبطي من أراذلِ القبطِ على يد المعلم يعقوب حنا الذي أصبح جنرالا في الجيش الفرنسي، وعهِد إليه الجنرالُ كليبر أن يفعل بالمسلمين ما يشاءُ حتى تطاولت

النصارى من القبط ونصارى الشوام على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم أغراضَهم وأظهروا حقدَهم، ولم يُبقوا للصلح مكانا، وصرّحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين!

لقد قامت الحملة الفرنسية بإخصاء الأقباطِ وأعلن الأقباطُ فعلا التبعيةَ الكاملة لنابليون وحملتِه.

فالخصاءُ قديمٌ، وعمليات الإخصاءِ صارت تتم الآن على المكشوف، ويتباهى الملاحدةُ والعلمانيونَ العرب أنهم مخصيو الغرب.. ودعاةُ التغريب هؤلاء لهم أفكارٌ وأساليبٌ مخصيةٌ مثلهم قاموا بترويجها على حين غفلة من المثقفين والمحترمين، فأنت مثلا عندما تذهب لتشتري (دبدوبا) لخطيبتك تذَّكر أن بلادنا العربية لا يوجد بها من المحيط إلى الخليج دبٌ واحد، فَمَن الذي استورد لنا هذه الثقافةَ؟ ولِحساب مَن؟ وعندما تفتح التلفاز ستجد امرأة عارية بجوار كلِّ سلعة معروضةٍ! وبديهيٌّ أنَّه لا توجد أدنى علاقة بين عري المرأة ونوع السلعة ؟

يخبرنا الدكتور **عبد الوهاب المسيري** أنه عندما ذهب إلى أمريكا ليدرس الأدب الإنجليزي فوجئ بأن عليه أن يحفظ! قصائد كاملةً للشاعر الأمريكي الشهير **وولت ويتمان**، وكانت هذه أولَ صدمةٍ يتلقاها، وقال: **ما بال دعاةِ التغريبِ في بلادِنا ينكرون علينا أساليبَ الحفظِ التي ورثناها من الأجداد ومن الكتاتيب وهي منهجٌ متأصلٌ في أكبر جامعات العالم؟!**

عندما تستمع إلى دعاة التغريب فإنك تبكي معهم على حال العرب! فهؤلاء يتحدثون عن إفلاس العربِ وجهل العربِ وتخلُّف العربِ وكأن الإفلاسَ والجهلَ والتخلفَ حالاتٌ ملازمةٌ للعرب لم تنفكَّ عنهم وليس من علاج إلا قبولُ الإخصاء وإلا ستظلُّ مفلسا جاهلا متخلفا!! ورحم الله الشيخ **محمد الغزالي** حين قال في كتابه "ظلام من الغرب" ص٤٠:

إن الصيدلة علمٌ عربي، والفلك والطب والميكانيكا والرياضيات والطبيعةُ والجغرافيا ما تزال تحمل الأسماء العربية الفصحى، هكذا ساد الروحُ العلمي الأمةَ العربية. يقول ديورانت في تاريخ الحضارة: ربما مَلَك الصاحب ابنُ عبادٍ من الكتب في القرن العاشر ما يُقَدّرُ بما كان في مكتبات أوربا مجتمعةً! وكنتَ تجد في المساجد من قرطبةَ إلى سمرقند علماءَ لا يحصيهم عدد

بل إن الناظر المتأملَ بعمقٍ في حال أُمة الإسلام هذه الأيام سيجدُ أن الأمة إلى خيرٍ لكن المشكلةَ في القيادة.

لكن ما بالنا إذا كان الملاحدةُ العربُ يخونون الأمانة ويتحولون إلى عبءٍ على ثقافتِنا ونهضتِنا؟! يقول الشيخ **الغزالي** رحمه الله واصفا الملاحدةَ العربَ ومتشائما منهم :

﴿ ما هؤلاء الناس؟! إنهم ليسوا عرباً ولا عجماً ولا روساً ولا أمريكانا!! إنهم مسخٌ غريبُ الأطوارِ صفيقُ الصياحِ! بُليت بهم هذه البلادُ إثر ما صنعه الغربُ بها، وترك بذورَه في مشاعرِها وأفكارِها. فهم –كما جاء في الحديث– من جلدتِنا ويتكلمون بألسنتِنا، بيد أنهم عَدوٌ لتاريخنا وحضارتنا، وعبءٌ على كفاحنا ونهضتِنا، وعونٌ للحاقدين على ديننا والضانين بحق الحياة له ولمن اعتنقه ﴾

فماذا فعل الملحدُ الشهير **إسماعيلُ أدهم** الحاصلُ على الدكتوراة في الرياضيات من موسكو.. المتقنُ لست لغات.. الذكيُّ الألمعي كما يقول **أحمد حسن الزيات!** ماذا قدم هذا الألمعي لأبنـاء أمته؟ هل قدم كتابا واحدا يخدم به أمتَه في الرياضيات.. إنه لم يضعْ إلا كتاباتِ تهَّجُمٍ على أُمة الإسلام والمسلمين!

فماذا ننتظرُ من مخصيين صاروا عبئـا علينـا وعلى نهضتنـا وثقافتنـا؟!

إن هؤلاء - ونقولهـا جازمين -: **لا يصلحون لحمل أعباءٍ ولا لمخاصمة أعداء.**

يقول ابن حزم:

إن الصبي الصغير في أول تمييزه يعلم بأنه لا يكون فعل إلا لفاعل، فإنه إذا رأى شيئاً قال: من عمل هذا ؟ ولا يقنع البتة بأنه العمل دون عامل. وإذا رأى بيد آخر شيئاً قال: من أعطاك هذا ؟

(ČĎ) č Ш / ýoŀ!ƒĂ ĆƒĂŃjÜƒĂ ýľďž!ƒ LJŏ% ý Ţ ƽ!ƒ

قال ابن تيمية:

فالاستدلال على الخالق بخلق الإنسان في غاية الحسن والاستقامة، طريقة عقلية صحيحة، وهي شرعية دل القرآن عليها، وهدى الناس إليها وبينها وأرشد إليها .

ويقول أيضاً:

فإنه قد يكون علم الإنسان بالحكم في أعيانها المشخصة الجزئية أبده للعقل من الحكم الكلي، ولا تكون معرفته بحكم المعينات موقوفة على تلك القضايا الكليات. ولهذا كان علم الإنسان أنه هو لم يحدث نفسه لا يتوقف على علمه بأن كل إنسان لم يحدث نفسه؛ ولا على أن كل حادث لم يحدث نفسه، بل هذه القضايا العامة الكلية صادقة وتلك القضية المعينة صادقة، والعلم بها فطري ضروري لا يحتاج أن يستدل عليه.

(ČĎČ) ďШ / ýlŀ!ƒĂ ýlž!ƒ LJŏ% Ư ƨĆžk!ƒ Ćƨƿƿƿ

نقضُ المنهجِ التطوري في علم الاجتماع الديني

بقلم د. فخر الدين المناظر

إن أيَّ نقضٍ اليومَ للنظرية التطوريةِ في ميدانِ علم الاجتماع الديني، هو نقضٌ لأحد أهم أركان العقلِ الإلحاديِّ المعاصر، حيث أن التطوريةَ حاولت أن تُرسِّخَ فكرةً بشريةً عبرَ الزعمِ بوثنيةِ أديانِ الإنسان الأول... وهذا النقضُ سيكون مُلَخصًا قدرَ الإمكانِ حتى يتسعَ له المقال.

تُركِّزُ المقاربةُ التطوريةُ في علم الاجتماعِ والانثروبولوجيا على دور التطورِ في حياة الجماعةِ الإثنيةِ أو البشريةِ عامة. وهذه المقاربةُ قد تأثرت بالنزعةِ التطوريةِ الداروينيةِ في مجالِ بيولوجيا القرن الثامن عشر الميلادي، حيث يُنظرُ للبشريةِ في تطورِها باتجاهِ التقدمِ الدائم، فتنتقلُ من حالةِ البساطةِ إلى حالة التعقيد، كما أن التطورَ يشملُ الدينَ أيضا، حيث ينتقلُ من الوثنيةِ إلى التوحيد..

وقد صَنَّفَ في ذلك عددٌ من الباحثينَ **كمورغان، وسبنسر، وتيلور**، وغيرهم ...

والحقُّ أن نظريةَ التطورِ لا قيمةَ علميةَ لها عند المحققينَ في علمِ الاجتماع، إلا مجرد تصنيفها ضمن كلاسيكياتِ النظريات الاجتماعية التي طواها التاريخ.

والذي يهمنا في هذا هو افتراءاتُ هذه المدرسةِ في مسألةِ نشأةِ الدين، فهُم يقولون أنّ التدين عند الإنسانَ بدأ بخُرافةٍ وثنيةٍ وأساطيرَ تأسيسية، ثم بعد ذلك تعاقبت الأجيال، وكلُّ جيل منها يُضيفُ ويُطور من معتقداتِه حتى أخذتْ الديانةُ المرتقية صورتَها التوحيديةَ ..

النزعةُ التطوريةُ وفقرُ الأدلة

طبعًا لا يستطيعُ أعتى عالِمِ اجتماعٍ تطوريٍّ أن يثبتَ لنا على وجه اليقين أنّ الديانةَ في صورتِها الأولى كانت وثنية، إنما كلُّ هذا تخميناتٌ بناءً على دراسةِ بعض القبائلِ الموجودة التي تُصَنَّفُ على أنها قبائل بدائية..

كما لا يوجدُ دليلٌ واحدٌ يبيح لنا الجزمَ بأن القبائلَ المعاصرةَ البدائيةَ هي صورةٌ عن القبائلِ البدائية الأولى أو الإنسانِ المتوحش كما يسميه رُوادُ هذه النظرية، فلا دليلَ على أن هذه القبائلَ والأممَ لم تمرَّ بظروفٍ تقلُّبية، فقد أثبتت العديدُ من الدراسات أنّ القبائلَ كانت عبارةً عن حضاراتٍ متقدمةٍ ثم مرت بظروفِ تقهقرٍ وسقوطٍ إلى أن أخذت أشكالَها المعاصرة المشاهَدة.

كما أن العلمَ الحديث لم يستطع الخوض في الحقبةَ البدائيةَ الأولى، واعتبرها بعيدةً عن ميدان تخصصاتِه، فالآثارُ الخاصةُ بديانةِ العصر الحجريِّ وما قبلَه غيرُ معروفة، ومن يحاولْ إقحامَ النزعةِ التطورية هنا مُلبِسًا لها ثوبَ العلميةِ فلا شكّ أنه واهمٌ أو أنَّ له في ذلك مآربُ إلحادية لا غير.

وعليه فالنظريةُ لا تستندُ على أدلةٍ ملموسةٍ أصلا، فيُغني تهافتُها وافتقارُها للأدلةِ عن قراءتِها بله اعتمادها.

النظريةُ التطوريةُ والأحلام

والنظريةُ لا تقوم إلا على تخمينات وافتراضاتٍ فقط، بل هي مجردُ أحلام، حيث يستخدم الباحثُ خيالَه الخصبَ لتَصورِ دين الإنسانِ الحجري!! وغالبا ما يكونُ ملتبسًا لأنه لا يستندُ إلى وثائقَ مكتوبة، لذلك، يتخيلُ الباحثُ التطوريُّ أنماطًا من السلوك والمعتقداتِ انطلاقًا من مؤشراتٍ تفتقرُ إلى الصدق... وكلٌ يُضفي لَمستَه في تصورِه لدين الإنسان الأولِ ثم يبني عليها مقدماتٍ ونتائجَ فيستنتجُ بأن الدينَ يسيرُ في خطٍّ تطوري ؟؟!!!!

إضافةً إلى أن اعتقادَ جُلِّ أنصارِ المنظورِ التطوريِّ بوجودِ وتيرةٍ خطيةٍ نمطيةٍ واحدةٍ للمجتمعات عبرَ الزمنِ ما هو إلا مجردُ مجازفةٍ نظرية لا تَترُكُ لنسبيةِ الثقافاتِ والمجتمعاتِ أيَّ مجال.

وقد استند **كلود ليفي ستراوس** إلى النظرية التطوريةِ ليُبيحَ استعمارَ الولايات المتحدة الأمريكية لغيرِها من الشعوب، بُغيةَ تخليصِ هذه الأخيرةِ وتحريرِها والمساهمةِ في تقدمِها، وكان يُشَبِّهُه بـ"**عُنْفُ رَحِمْ**"... ولا شك أنّ هذا مجردُ هراءٍ لا يصمدُ أمام النقد، وتوظيفٌ للنظريةِ بغيةَ تحقيقِ سياساتٍ استعمارية.

كما أنّ المدرسةَ الانتشاريةَ بزعامة عالِمِ الاجتماعِ **فرانز بواس**، كانت من أشد المنتقدينَ للتطورية، فأكد **"بواس"** وجودَ دوائرَ ثقافيةً ومجموعاتٍ جغرافيةً تتصفُ بتماثلِ السماتِ الثقافيةِ من مؤسساتٍ وتقنيات ومعتقدات، تعرفُ انتشارًا وانتقالاً من مجالٍ لآخر داخلَ الدائرة الثقافيةِ نفسِها انطلاقًا من بُؤَرٍ معينة.

وقد فتحت هذه المدرسةُ مجالا واسعًا للتخلص من النزعةِ التطوريةِ الجاثمةِ على عقول الباحثينَ آنذاك في ميدان الأنثروبلوجيا، والانفتاحِ أكثرَ على أنساقٍ ثقافيةٍ تتميزُ بالتماسكِ البُنيويِّ والوظيفيِّ لظواهرِها.

مزلقُ التطوريةِ وثنائيةُ الرشدِ والضلال

ومن أهم المزالقِ التي سقطت فيها التطورية عدمُ اعتبارِها لمسألةِ الرشدِ والضلالِ في الأديان، فكم من ديانةٍ تعرضت للتحريف والتبديل؟! فلا نستطيعُ القولَ بأن ديانةَ قبائلِ البنطو والنغريل بإفريقيا هي نفسُها ديانةُ آبائِهم وأجدادِهم القدامى بله دينُ إنسانِ العصرِ الحجري، فالمُطَّلِعُ على تاريخِ الأديانِ دائمًا ما يصادفُ ثنائيةَ الرشدِ والضلال، والاتباعِ والابتداعِ في الأديان، فتجدُ الفِرَقَ النصرانيةَ الأولى على سبيلِ المثالِ لم تكن مؤمنةً بألوهيةِ المسيح عليه السلام ولا بعقيدةِ التثليث، وهذا ما كشفت عنه وثيقةٌ مسيحيةٌ قديمة نُشرت في جريدة التايمز في ١٥ يوليوز ١٩٦٦ م، وهو عينُ ما قررته دائرةُ المعارف الأمريكيةِ والفرنسية، وعلماءُ الأديان، بل هذا باعتراف آباء الكنيسة، ومن أهم هذه الفرق: الأبيونيةُ والكربوقراطيةُ والبولينية، وقد ذكرها آباءُ النصارى في كُتبهم ووصموها بالهَرطقات، واندثرتْ تلك الفرقُ لأسبابٍ عديدةٍ منها عهدَيْ الاضطهادِ والرخاء، والتأثرُ بالمناخ الوثني السائدِ آنذاك وغيره،

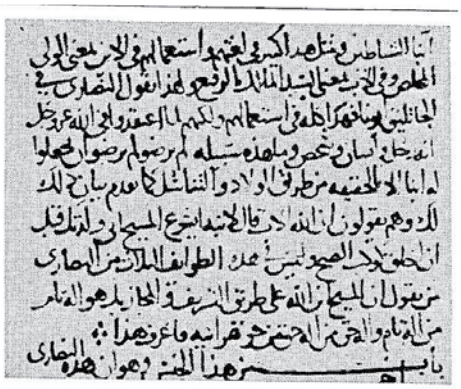

A part of one of the accounts of the Passion of Jesus found in the ancient Arabic manuscript.

DID JUDAS BETRAY THE WRONG MAN?

Nazarene texts throw doubt on the Crucifixion

FROM OUR CORRESPONDENT—TEL AVIV

Scholars at the Hebrew University in Jerusalem have called for a scientific reappraisal of the beginnings of Christianity in the light of the newly discovered 1,500-year-old texts of a Judeo-Christian sect claiming descent from the disciples of Jesus himself.

The acquisition of a microfilm copy of the Arabic manuscript was reported last month by the university. It portrays the first Christians in Jerusalem as synagogue-goers who regarded Jesus as a prophet but not divine, and who observed Jewish law to the letter.

The texts also give an account of the Passion which strongly suggests that another Jew may have been singled out by Judas Iscariot, and crucified instead of Jesus. They also report sayings by Jesus, some of which contradict those in the Scriptures.

Sect identified

Professor Shlomo Pines, who discovered the texts in a 1,000-year-old Islamic manuscript, and Professor David Flusser have identified the sect of the texts as Nazarenes, Judeo-Christians attacked in the writings of some fourth-century church fathers. Professor Flusser, a Professor of Comparative Religions, said the texts were as important for the history of early Christians as the Dead Sea Scrolls were for an understanding of the pre-Christian background.

However, a Christian scholar in Jerusalem said the discovery will not affect Christian thinking. "We had known from our church fathers that there were some heretical Jewish Christian sects", he said. "Now for the first time we seem to have original writings coming from them."

The texts were presumably kept hidden during the post-Constantine era and were brought to light after the rise of Islam. Professor Pines believes the original texts were written in Syriac between the fourth and sixth centuries, and translated into Arabic at an unknown date. In the tenth century they were included in a treatise defending orthodox Islam by a prominent theologian, Abd-al-Jabbar, who made some changes. Professor Pines said that for the most part it was possible to distinguish between the Muslim's revisions and the original.

One discrepancy between the manuJesus "corrupted and led astray our brethren". Herod assigned auxiliaries to go with them to arrest the man, but none could identify him.

They met Judas, who said he would kiss Jesus's head and take his hand so that they should recognize him. There was a crowd in Jerusalem because it was the third day of Passover. Judas kissed a man's head, took his hand and then melted into the crowd. The man was arrested.

Brought before Herod, the prisoner denied that he was Christ (in Arabic, Christ is *Masiyh*, which also means Messiah) and trembled with fear. Herod said to the Jews: "I see you attribute to him sayings that were not his and you wrong him. There is a basin of water for me to wash my hands of this man's blood."

Pilate learnt that Jesus had been brought to Herod and asked that he be sent to him for a talk, as he had heard that he was an intelligent man. In his meeting with Pilate, the prisoner also denied that he was Christ and was too nervous for intelligent conversation. Pilate accordingly sent him back to Herod, saying: "There is no good in this man", meaning that no intelligent conversation could be had with him.

Torture by Jews

Herod sent him to prison for the night and the following day Jews seized him and tortured him. At the end of the day they whipped him, crucified him and pierced him with lances so that he should die quickly. To the last, the man did not perceive his crime and he died crying "My God, why did you abandon me? My God, why did you forsake me?"

Judas later asked the Jews what they had done with the man. On being told that he had been crucified, he was amazed. They took him to see the body and he exclaimed: "This man is innocent!" He abused the Jews, threw the money they had given him into their faces, then went away and strangled himself.

Professor Flusser noted that both versions of the Passion in the new texts were much more anti-Jewish than in the most anti-Judaistic passages in the synoptic gospels. He said that confirmed his theory that the anti-Jewish tone in the Scriptures arose from tensions between Judeo-Christians and the synagogue, rather than between Gentile and Jewish Christianity, as was generally supposed.

فالذي حصل للنصرانية، لا يُستبعدُ حصولُه لدياناتِ القبائلِ المعاصرةِ البدائية ..

وكيف لهم تفسيرُ هذا التطورِ العكسيِّ في دين النصارى الذي انتقل من التوحيد إلى التثليث؟! ثم أنَّى لهم تفسيرُ وجودِ من لا يزالُ يدين بالوثنيةِ في عالمنا المعاصر، فأين هو النظامُ التطوريُّ الخطيُّ الثابتُ الذي يصدعُ به التطوريون ؟! فإن قالوا بأن المجتمعاتِ التي تدينُ بالوثنيةِ ما زالت متخلفةً! قلنا لهم بأن المجتمعاتِ المتقدمةِ تؤمن بالتثليث وهو خاصيةٌ وثنيةٌ خالصة!! في حين أن هناك قبائلُ بدائيةٌ تؤمنُ بالتوحيد!

وإن قالوا بأن الإلحادَ هو الدينُ المرتضى للعالَمِ المعاصر، قلنا بأن الإلحادَ كان معروفًا في مرحلة اليونان، فحُقَّ بهذا المنطقِ التطوريِّ أن يكون أغلبُ أهلِ الأرضِ على الأقل من الملحدين، في حين أننا نرى أن جمهورَ البشريةِ من المؤمنينَ بوجودِ الخالق.

فلم يبقَ إلا التسليمُ بتهافتِ النظريةِ التطورية العلمَويةِ، وأنَّ الزعمَ بالأصلِ الوثنيِّ للأديانِ والتطورِ الخطيِّ النمطيِّ لا أساسَ لهما من الصحة، علمًا بأننا لا ننفي التطورَ مطلقًا عن المجتمعاتِ الإنسانيةِ إنما الذي ننفيه هو المغالاةُ التي وقع فيها روادُ النظرية متأثرينَ بالداروينية... فمفهومُنا للتطور غيرُ مفهومِ هؤلاء.

كان هذا نقضًا موجزًا لهذه النظريةِ الفاسدة، ومن أراد الاستزادةَ فعليه أن يرجعَ لكُتبِ الباحثينَ الذين أثبتوا أن الأصلَ هو التوحيدُ وليس الوثنية، مثل **كاتروفاج، ولاروي، وشريدر، ولانج** حيث اكتشفوا وجودَ قبائلَ تؤمنُ بإلهٍ واحدٍ وهي ما زالت بدائيةً في أستراليا وإفريقيا وأمريكا، وأنَّ الوثنياتِ مجردُ أمراضٍ وطُفيلياتٍ تَعلقُ عبرَ الزمن بعقيدةِ التوحيد.

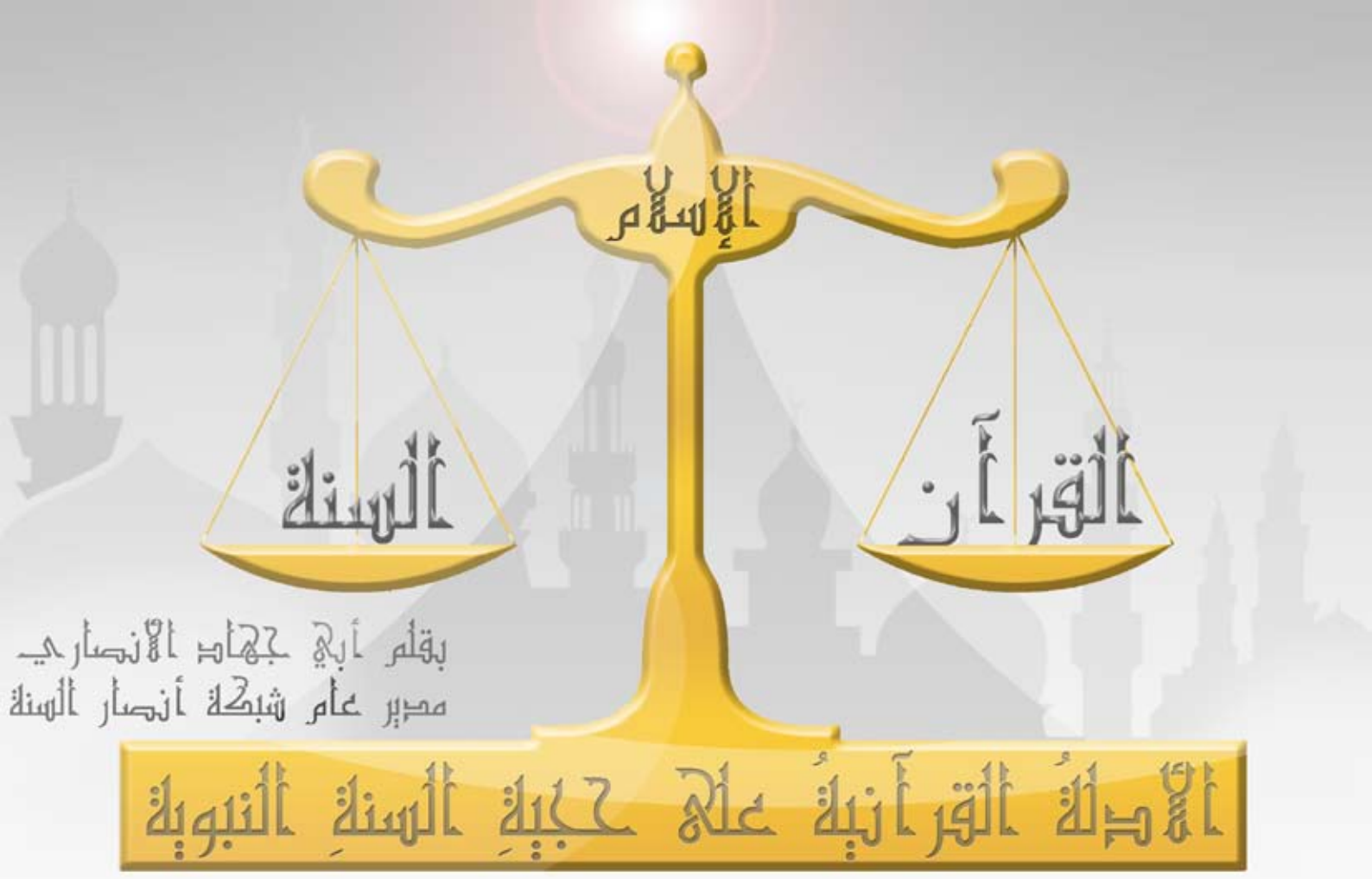

الحلقة الثالثة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ،،

نواصل مع حضراتكم سلسلة الأدلة القرآنية على حجية السنة النبوية ، ومع الجزء الثالث منها :

الإتيان بمفردات معينة والعدول عن غيرها لإقرار حجية السنة

تعرف البلاغة بأنها : تبليغ المعنى بأقل عدد ممكن من الكلمات. وعرّف أعرابي البلاغة قائلاً أنها:

﴿الإيجاز من غير عجز ، والإطناب من غير خلل﴾[ج].

إذًا فالإيجاز ركن أصيل من أركان البلاغة ، ومن المعلوم بداهةً أن القرآن الكريم هو أعلى نسق بلاغي لدينا ، فلا يعلوه شيءٌ ، ودونه كلُّ شيء. والاختصار من وجوه الإعجاز البلاغي في القرآن حيث لا يمكن أن يُستدرك عليه شيءٌ بحذف ولا بزيادة. فما حُذف منه كان لحكمة، وما ثبت فيه وضع لحكمة.

ومدار الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم - كما ذكر **الفخر الرازي** رحمه الله - يكمن في أنه لو أزيلت لفظة من موضع في القرآن الكريم ثم دارت عليه لغة العرب لما جاءت في مكانها لفظةٌ تؤدي معناها لا مثلَها ولا خيرا منها.

وإذا تأملنا العديد من المواضع في القرآن الكريم لوجدنا أن هناك ألفاظا إذا لم تفهم دلالاتها على وجهها الصحيح فقد يظن ظان أنه يمكن أن يُستغنى عنها، وذلك الظن خاطئ لأن هذا الاستغناء باطل، فثبت أن ورود تلك الألفاظ في تلك المواضع من القرآن الكريم كان لمعنى وحكمة ودلالة مقصودة، فإذا تأملنا ذلك وتدبرناه في ألفاظ آيات حجية السنة لوجدنا في إتيانها على هذا النحو دليلا على حجية السنة النبوية في التشريع.

وكثيراً ما أتوقف مع آيات القرآن الكريم ومفرداته فأسأل نفسي قائلا: ما الحكمة في أن الله جلت قدرته وتعالت حكمته قد قال كذا ، ولم يقل كذا؟ فإذا به باب علم فسيح ينفتح أمام المتدبرين، فينهلون منه علوماً ومعارف لا تنتهي ، فأتذكر قول الصحابي الفقيه **عبد الله بن مسعود** ﷺ وأرضاه حين وصف القرآن بأنه لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد.

ولهذا فإن دراسة واتّباع هذا المنهج القرآني البلاغي اللغوي سيظهر أمامنا دلالة المئات من آيات القرآن الكريم القطعية على حجية السنة النبوية. وسوف نورد فيما يأتي نماذج على هذا المنهج الصحيح، ومن تلك النماذج:-

١

تصدير مئات الآيات القرآنية بكلمة ﴿ قـل ﴾ وهو فعل أمر موجه مباشرةً للنبي ﷺ ، علما أنه من الممكن نحويا أن يستغنى عن هذا الأسلوب دون حدوث تقصير أو خلل في المعنى كأن يوجه الأمر إلى عموم الناس مباشرة دون تخصيص الخطاب في الآية بالرسول ﷺ .

وقد وردت كلمة ﴿ قـل ﴾ في القرآن اثنتين وثلاثين وثلاثمائة مرة، أغلبها خاص بالنبي ﷺ إلا قليلاً، وإذا تأملنا كثيرا من هذه الآيات فسنجد أن الكلام يصح نحويا بدون هذه الكلمة، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [Ď-č : LJÄ2ƒ%‡!/] فلو جاء الخطاب القرآني على نحو : "يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون" لما اختل المعنى نحويا ولصح تقدير أن الكلام مسند إلى العبد الموحد المتبرئ من الكافرين كائنا من كان، وكما قيل في الآية السابقة يقال مثله في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ [f ŭPÚ/ Ď-č :]

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ ...

وطالما أن المعنى صحيح نحويا ، وطالما أنه لا يجوز أن يكون في كلام الله ما هو حشو وزيادة ، فلابد أن يكون هناك غرض إضافي ، ومغزى جديد غير المعنى الأصلي. وهذا المعنى الإضافي والمغزى الجديد في تلك المواضع هو إقرار وإثبات حجية السنة النبوية ، على النحو الذي سنبينه.

ولنتأمل ما أسند إليه الكلام في الجمل التي جاءت بعد كلمة ﴿ قـل ﴾، فسنجد أنها في الأغلب الأعم قد أُسند فيها الضمير ونُسب الفعل إلى النبي ﷺ كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ﴾ [ýč dťč:LJƒƧ#ž]، وكقوله: ﴿ قُلْ إِنِيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [čđ:ß#žlÜƒ] ...

بينما جاء إسناد الضمير في مواضع أخرى قليلة بعد ﴿ قـل ﴾ لله تعالى ، كقوله: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [ěē : lƧlℍ!ƒ] وكان بالإمكان أن يأتي النظم على غرار الحالة الأولى فينسب إلى النبي ﷺ فيقال: "قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبي"، ولكن جاء التباين والتفاوت في إسناد الضمير بعد ﴿ قـل ﴾ ليدل على حِكَمٍ عديدة، ذكرنا إحداها، ألا وهي أن تبليغ القرآن يكون تبليغا لنصه كما هو الحال عند تبليغ النبي ﷺ لنص قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾، كما أن تبليغ القرآن يكون أيضا تبليغا لمعانيه التي امتثلها النبي ﷺ في سيرتِه العملية كما في قوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾ [ýč dťč:LJƒƧ#ž].

فإن بلَّغ النبي ﷺ الآيات كما هي في القرآن فهو (**وحي مرتل**) ، وإن فسرها النبي ﷺ قوليا وعمليا مباشرة فهو (**وحي غير مرتل**)، فدل هذا على أن أوامر النبي ﷺ ونواهيه وحي من عند الله، وإن لم تكن بنص القرآن فهي تفسيره وشرحه، وكلاهما وحي بلا خلاف.

٢

وبمناسبة ذكر الآيات التي وردت فيها كلمة ﴿ قـل ﴾ أتوقف عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ [ĎČď : 2ƒƧŽÜƒ]، وهنا نتوصل إلى قاعدة ذهبية هي أن اتّباع النبي ﷺ للوحي يعد من الوحي أيضا، فذلك وحي القرآن، وهذا وحي السنة.

٣

توجيه الخطاب إلى النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿ إليك ﴾ و ﴿ عليك ﴾ في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [يوسف: ٣] فلو تأملنا المعنى والسياق لأدركنا دون عناء أن المعنى قائم ومكتمل نحويا بدون ذكر هاتين الكلمتين. ولكن جاءت هاتان المفردتان وبخاصة ﴿ إليك ﴾ للتأكيد على ما أسميه: **(تلازم الرسالة والرسول)** فلولا الرسالة ما بُعث الرسول، ولولا الرسول ما بُلّغت الرسالة، فكل عملية إعلامية أو إخبارية أو اتصال بآخرين لابد لها من أربعة عناصر أساسية هي: المرسل، والمستقبل، والرسالة، والرسول. فالمرسل: هو صاحب الرسالة، والمستقبل: هو المقصود من توجيه الرسالة، والرسالة: هي المضمون المراد تبليغه، والرسول: هو الحامل الناقل لهذه الرسالة، فلولاه ما بُلّغت الرسالة، فالرسالة والرسول متلازمان لا ينفكان، فبدون الرسول تصبح الرسالة مجرد وِجادة لا تحمل صفة الحجة البالغة على المستقبل، لأن انتفاء اقتران الرسالة بالرسول وتحميله إياها وتوجيهه بها إلى المستقبل للرسالة، يعنى افتقاد شرط مهم جداً فى العملية التبليغية ألا وهى إرادة التبليغ من قِبل المرسِل.

لطيفة: بتتبع آيات الذكر الحكيم التي وردت فيها كلمتا ﴿ إليك ﴾ و ﴿ عليك ﴾ مخَاطَباً بها النبي ﷺ بعد كلمات مثل: ﴿ أنزل ، نزّل ، أنزلنا ، نزل ، تنزيل ﴾ وجدت أنه عند ذكر ﴿ إليك ﴾ يكون السياق متعلقاً بشخص النبي ﷺ ، وعند ذكر قوله تعالى ﴿ عليك ﴾ يكون السياق متعلقاً بالقرآن الكريم ذاته، فليُتأمل.

٤

أسوق مثالاً آخر يتعلق بالمفردات والعبارات القرآنية التي جاءت لتدعم حجية السنة النبوية في التشريع وهي قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١].

فماذا لو جاء النظم هكذا: "الحمد لله الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجاً"، أي بدون قوله ﴿ عَلَى عَبْدِهِ ﴾ ؟

لا شك أن المعنى الظاهر مكتمل نحويا، ولكن جاءت هذه الآية هكذا لتؤكد على أن هناك نعمتين اثنتين، الأولى:

إنزال الكتاب.

والثانية : كون هذا التنزيل كان على النبي ﷺ .

ولهذا تصدرت هذه الآية الكريمة سورة الكهف بهذه العبارة اللطيفة، ولذلك أيضا ذكر فيها النبي ﷺ مراراً كقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ ﴾ و ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ و { وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً ﴾ و ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ و ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾ ...

كل هذا ليتأكد عندنا حتمية الوساطة النبوية في العملية التشريعية.

وآخر دعوانا أن

الهامش :

[١] ذكره ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة نقلاً عن المفضل الضبي.

التقوى

سأل رجل أبا هريرة رضي الله عنه: ما التقوى؟ قال: "هل أخذت طريقاً ذا شوك؟" قال: نعم، قال: "فكيف صنعت؟" . قال: إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه، قال: "ذاك التقوى" .

(Ēč/č) ŎʊĂǒ˩˺! ƨĂʎɻʤƶ!ƒ ƨƥ!ƒ

قال طلق بن حبيب رحمه الله تعالى: "التقوى العمل بطاعة الله على نور من الله، رجاء رحمة الله، والتقوى ترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله".

(Ďd′/čč) ɬȟǒT Ŏȟ0 LJȟŬ ƨɻ˥ʤƶ!ƒ
(Ēč/č) ŎʊĂǒ˩˺! ƨĂʎɻʤƶ!ƒ ƨƥ!ƒĂ

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: "التقي ملجم لا يفعل كل ما يريد" .

(d′Đč/čĐ) ĭ Ăʒȟ˺! ɬɻ˩!ƒ ΘƧT

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: "تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، يكون حجاباً بينه وبين الحرام" .

(Ēč/č) ŎʊĂǒ˩˺! ƨĂʎɻʤƶ!ƒ ƨƥ!ƒ

إنَّ الابتلاءَ سُنةٌ جاريةٌ لا تتخلف، وهو مرتبطٌ بالتمكين ارتباطا وثيقا، فلقد جرَت سُنةُ الله تعالى ألا يُمكِّنَ لأُمةٍ إلا بعد أن تمرَّ بمراحلِ الاختبارِ المختلفة، وبعد أن ينصهرَ معدنُها في بوتقةِ الأحداث، فيَميزَ اللهُ الخبيثَ من الطيب.

وقد شاء اللهُ تعالى أن يبتليَ المؤمنين، ويختبرَهم ليُمحصَ إيمانَهم، ثم يكونُ لهم التمكينُ في الأرض بعد ذلك، وهذا الابتلاءُ للمؤمنينَ ابتلاءُ الرحمةِ لا ابتلاءُ الغضب، وابتلاءُ الاختيارِ لا مجردُ الاختبار.

جاء هذا المعنى على لسان الإمامِ **الشافعيِّ** حين سأله رجل: أيُّهما أفضلُ للمرء، أن يُمكَّن، أو يُبتلى؟ فقال الإمامُ **الشافعي**:

﴿ **لا يمكَّنُ حتى يُبتلى** ﴾.

وقال **ابنُ القيمِ** في الفوائد: ﴿ **فإن اللهَ تعالى ابتلى نوحًا وإبراهيمَ وموسى وعيسى ومحمدًا صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين, فلما صبروا مكَّنهم فلا يظنَّ أحدٌ أن يَخلُصَ من الألم البتة** ﴾.

والمؤمنون هم حزبُ اللهِ وجنودُه ولله المثلُ الأعلى، والمعركةُ التي يُعِدُّهم من أجلِها هي المعركةُ العظمى، معركةُ الحقِّ والباطل، والنتيجةُ المطلوبةُ من المعركة ليست مجردَ النصر، وإنما هي بعد ذلك إقرارُ المنهجِ الرباني في الأرض بكل المعاني والقيمِ التي يحملُها ذلك المنهج، وهي الأمانةُ التي تَعَرَّضَ لحملِها الإنسانُ بقدَر الله.

"وحملُ الأمانةِ بعد الانتصارِ على الباطل لا يصلحُ له كلُّ الناس، إنما يناسبُ قومًا مختارين، يُعَدون إعدادًا خاصًّا ليُحسنوا القيامَ به" [c]

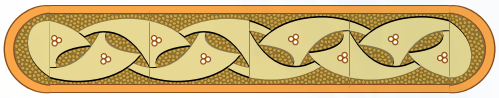

وللتمكين شروطٌ من أهمها:

١/ الإيمانُ بالله والعملُ الصالح: "لقد بين الله سبحانه لعباده حقيقةَ الإيمان الذي يقبل اللهُ به الأعمالَ ويتحققُ به وعدُ اللهِ للمؤمنين. فمِن شروطِ الاستخلافِ في الأرض تحقيقُ الإيمانِ بكل معانيه والالتزامُ بشروطِه والابتعادُ عن نواقضِه.

وقد فصَّل القرآنُ الكريمُ والسنةُ النبويةُ موضوعَ الإيمانِ وأركانَه وشروطَه ولوازمَه.

وقد بين علماءُ أهلِ السنة في تعريفاتِهم حقيقةَ الإيمانِ فقالوا: إنَّ الإيمانَ هو التصديقُ بالقلب والنُّطقُ بالشهادتين والعملُ بالجوارحِ والأركان, أي هو: اعتقادٌ وقولٌ وعمل، فهذه الثلاثةُ كلُّها مندرجةٌ فيه وتمثلُ أجزاءً من حقيقتِه".

يقول شيخُ الإسلامِ **ابنُ تيميةَ** رحمه الله: ﴿ **ليس للقلوب سرورٌ ولا لذةٌ تامةٌ إلا في محبةِ الله والتقربِ إليه بما يحبه, ولا تُمكِنُ محبتُه إلا بالإعراضِ عن كل محبوبٍ سواه, وهذه حقيقةُ "لا إله إلا الله", وهي ملةُ إبراهيمَ الخليلَ عليه السلام، وسائرَ الأنبياءِ والمرسلينَ، صلاةُ الله وسلامُه عليهم أجمعين** ﴾[D]، أما شِقُّها الثاني: محمدٌ رسولُ الله، فمعناه تجريدُ متابعتِه فيما أمَر، والانتهاءُ عما نهى عنه وزجر. ومن هنا كانت "لا إله إلا الله" ولاءً وبراء، ونفيًا وإثباتًا.

ويقول **سيد قطب** رحمه الله: ﴿ **إن حقيقةَ الإيمان التي يتحققُ بها وعدُ اللهِ حقيقةٌ ضخمةٌ، تستغرق النشاطَ الإنسانيَّ كلَّه, وتُوَجِّهُ النشاطَ الإنسانيَّ كلَّه, فما تكادُ تستقرُّ في القلب حتى تُعلنَ عن نفسِها في صورةِ عملٍ ونشاطٍ وبناءٍ وإنشاءٍ مُوجَّهٍ كلِّه إلى الله, لا يبتغي به صاحبُه إلا وجهَ الله, وهي طاعةٌ لله واستسلامٌ لأمرِه في الصغيرة والكبيرة, لا يبقى معها هوىً في النفس, ولا شهوةٌ في القلب, ولا ميلٌ في الفطرة إلا وهو تَبَعٌ لما جاء به رسولُ الله من عند الله.**

فهو الإيمانُ الذي يستغرقُ الإنسانَ كلَّه, بخواطرِ نفسِه, وخلجاتِ قلبِه وأشواقِ روحِه, وميولِ فطرتِه, وحركاتِ جسمِه, ولفتاتِ جوارحِه وسلوكِه مع ربِّه في أهله, ومع الناس جميعًا ﴾[d]

ثم يقول رحمه الله: ﴿ **والعملُ الصالحُ هو الثمرةُ الطيبةُ للإيمان, والحركةُ الذاتيةُ التي تبدأُ في ذات اللحظةِ التي تستقرُّ فيها حقيقةُ الإيمانِ في القلب, فالإيمانُ حقيقةٌ إيجابيةٌ متحركة, ما إن تستقرَّ في الضمير حتى تسعى بذاتِها إلى تحقيق ذاتِها في الخارج في صورة عملٍ صالح.. هذا هو الإيمانُ الإسلامي .. لا**

يمكنُ أن يظلَّ خامدًا لا يتحرك, كامنًا لا يتبدى في صورةٍ حيةٍ خارجَ ذاتِ المؤمن.
فإن لم يتحركْ هذه الحركةَ الطبيعيةَ فهو مزيفٌ أو ميت, شأنُه شأنُ الزهرةِ لا تُمسكُ أريجَها, فهو ينبعثُ منها انبعاثًا طبيعيًّا, وإلا فهو غيرُ موجود.
ومن هنا قيمةُ الإيمان .. إنه حركةٌ وعملٌ وبناءٌ وتعمير.. يتجه إلى الله.. إنه ليس انكماشًا وسلبيةً وانزواءً في مكنونات الضمير.. وليس مجردَ النوايا الطيبةَ التي لا تتمثلُ في حركة, وهذه طبيعةُ الإسلامِ البارزةِ التي تجعل منه قوةً كبرى في صميم الحياة »[Đ]

ويضيف: « ذلك سرُّ قوةِ العقيدةِ في النفس, وسرُّ قوةِ النفسِ بالعقيدة, سرُّ تلك الخوارقِ التي صنعتها العقيدةُ في الأرض, وما تزال في كل يومٍ تصنعُها الخوارقُ التي تُغيِّرُ وجهَ الحياةِ من يوم إلى يوم, وتدفعُ بالفردِ وتدفعُ بالجماعةِ إلى التضحيةِ بالعمر الفاني المحدودِ في سبيلِ الحياةِ الكبرى التي لا تفنى, وتقفُ بالفرد القليلِ الضئيلِ أمام قوى السلطانِ وقوى المالِ وقوى الحديدِ والنار, فإذا هي كلُّها تنهزمُ أمام العقيدةِ الدافعةِ في روح الفرد المؤمن, وما هو الفردُ الفاني المحدودُ الذي هزم تلك القوى جميعًا! ولكنها القوى الكبرى الهائلةُ التي استمَدت منها تلك الروح, والينبوعُ المتفجرُ الذي لا يَنضبُ ولا ينحسرُ ولا يَضعُف»[đ].

٢/ تحقيقُ العبادةِ وذلك بتثبيتِ الاعتقاد، وتثبيتِ القيمِ الأخلاقية، ينصُّ **ابنُ القيم** رحمه الله على أن: « العبادة تجمع أصلين : غاية الحبِّ بغايةِ الذلِّ والخضوع »[Ē]

ودعائمُ هذه العبادةِ التي تنظمُ أعمالَ الإنسان كلَّها - القلبيةَ والعمليةَ، والفرديةَ والجماعية - هي: المحبةُ والخوفُ والرجاء, وقد جعل **ابنُ القيم** هذه الثلاثَ في قلب المؤمن: « بمنزلةِ الطائر, فالمحبةُ رأسُه, والخوفُ والرجاءُ جناحاه فمتى سلِم الرأسُ والجناحانِ فالطائرُ جيدُ الطيران, ومتى قُطع الرأسُ مات الطائر, ومتى فُقد الجناحانِ فهو عُرضةٌ لكل صائدٍ وكاسر »[ē]

٣/ محاربةُ الشركِ بجميع أنواعِه وأشكالِه: يقول الشيخُ **عبدُ الرحمن السعدي**: « إن الجماعةَ المسلمةَ التي رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً تحرصُ على تحقيق التوحيدِ ومحاربةِ الشركِ، وهي تسعى لتحكيم شرعِ الله، لأنها تعلمُ علمَ اليقينِ أن مِن شروطِ التمكين وإقامةِ دولةِ الإسلامِ تحقيقُ التوحيدِ، وتهذيبُه وتصفيتُه من الشرك الأكبرِ والأصغر ومن البدعِ القوليةِ والاعتقادية والبدعِ الفعليةِ العملية ومن المعاصي، وذلك بكمالِ الإخلاصِ للهِ في الأقوالِ والأفعالِ والإرادات، وبالسلامةِ من الشركِ الأكبرِ المناقضِ لأصلِ التوحيد، ومن الشركِ الأصغرِ المنافي لكمالِه وبالسلامةِ من البدع »[Ĕ]

٤/ تقوى اللهِ عزَّ وجلَّ لأن تقوى الله لها ثمراتٌ عظيمةٌ في الدنيا والآخرة، وهذه الثمراتُ تظهرُ على الأفراد، ومن ثمَّ على الجماعة المسلمةِ التي تسعى لتحكيمِ شرعِ الله والتمكينِ لدينِه.

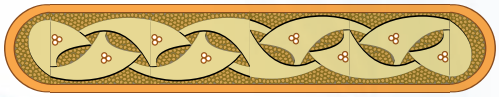

وللنصر قواعد من أهمها:

١/ الثبات: فالمؤمنُ لا يتزعزعُ ولا يترددُ ولا يَهِنُ ولا يضعُفُ أبدًا؛ لأنه لا ينتظرُ إلا إحدى الحسنيين: الشهادةَ أو النصر، ولا يتوقعُ إلا ما كتب اللهُ له، ولو أن أهلَ الأرضِ جميعًا اجتمعوا على أن ينفعوه لم ينفعوه إلا بشيءٍ قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وإنه لمأجورٌ على ما يلقَى من ذلك

٢/ ذِكرُ الله: وهو أمانُ الخائفين، وأملُ اللاجئين، والمؤمنُ يعلم تمامَ العلمِ ويوقنُ أعمقَ اليقينِ بأن قدرةَ اللهِ أعظمُ القُدَر، وأنَّ قوةَ اللهِ أجلُّ القِوَى

فإذا أحاطت به عواملُ اليأس، وأحدقتْ به قِوَى الأعداءِ من كل جانب، ذكَر صادقًا أن وراءَ ذلك كلِّه قوةُ القويِّ القديرِ العليِّ الكبير، الذي له السمواتُ والأرض، وكلُّ من فيهما جميعًا عبادُه، بيدِه ملكوتُ كلِّ شيء، وهو على كل شيء قدير.

٣/ طاعةُ اللهِ ورسولِه: فلا قتالَ إلا لغاية، ولا عملَ إلا في حدود، وإذا كانت الغايةُ مرضاةَ الله ورسولِه، وإذا كانت الحدودُ حدودَ اللهِ ورسولِه التي وضعَها العليمُ الخبيرُ لعبادِه من النظُمِ والمناهجِ والأحكامِ والقواعد، لتُبصرَهم بالخير وتأمرَهم به، وتُحذرَهم من الشر وتنهاهُم عنه، كانت تلك ولا شك أنبلَ الغاياتِ وأشرفَ المقاصد التي يهون في سبيلِها البذلُ ويطيبُ من أجلِها الكفاح

٤/ الصبر: وهو أصلُ الثبات، فلا ثباتَ إلا للصابرين، والثباتُ مظهرٌ وعملٌ، والصبرُ عاطفةٌ وخُلُقٌ، والصابرون يُوَفَّونَ أجرَهم بغير حساب، ففي الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالمثوبةِ والأجر.

٥/ تصحيحُ النيةِ وطهارةُ المقصد: فلا يكون الغرضُ عدوانًا ظالما، أو إبطالاً لِحقٍّ أو إحقاقًا لباطل، أو تهجمًا على مستأمنين أو اغتصابًا لحقوق الآخرين، بل يكون دفاعًا مشروعًا أو نجدةً لمظلوم أو حمايةً للمُثلِ العُليا أن تُنتهكَ حرمتُها

٦/ الفرَجُ بعد الكرب: في الحديث الشريف: ﴿ **وأن الفرجَ مع الكرب** ﴾[ë] يقول الشيخُ الدكتورُ **سفر الحوالي** في شرح العقيدةِ الطحاوية:

﴿ قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: ﴿ **وأن الفرجَ مع الكرب** ﴾ تأملْ هذه البلاغةَ النبويةَ وانظرْ لواقع الناس، فإنهم يطلبون دائماً الفرج، ويريدون التيسيرَ والخير، ولكنهم يهربون من الآلام والمتاعب، أما النبيُّ ﷺ فقد قرنهما، فإذا كنتَ تريدُ النصرَ فهو مع الصبر، وإذا كنتَ تريدُ الفرج فهو مع الكرب، فلا يمكنُ أن تحصلَ على الفرجِ دون أن يأتيَك الكرب، ومقتضى ذلك: أن الكربَ إذا حصل فصبرت فإن الفرجَ آتٍ لا محالة.

ثم قال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [Ē : ΘƧT!ƒ]، وهذا مما اختص اللهُ تعالى به عبادَه المؤمنين؛ أنهم يصبرون على كلِّ ما ينالُهم من عُسر، وانظرْ إلى صبر النبي ﷺ وأصحابِه، فقد أوذي النبيُّ ﷺ لأنه يقول: ربيَ الله، كما قال **الصديقُ** رضي الله تعالى عنه: ﴿ **أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله؟!** ﴾[čč]، وهذه المقالةُ قد قالها مؤمنُ آلِ فرعونَ من قبل، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [ĎĚ:2%ε]، وكذلك كان الصحابةُ رضوانُ الله تعالى عليهم يعذَّبون ويؤذَونَ ويُطردون؛ لأنهم يقولون: ربُّنا الله، حتى إنهم حين هاجروا إلى الحبشة ظلت قريشُ تطاردُهم وتؤذيهم وهم في بلاد الغربة، فمع ما أصابهم من غربةٍ في تلك البلادِ البعيدةِ عن الأهل والصحب، ترسلُ قريشٌ وفداً إلى الحبشة ليقولوا للنجاشي: إن هؤلاءِ فارقوا دينَنا وتركوا ما كنا عليه، فأرجِعهم إلينا!

سبحان الله !! هكذا يُرغَمُ الإنسانُ ويُكرَهُ على أن يعتقدَ الباطل، وتُصادَرُ حريتُه؛ لأنه يقول: ربيَ الله، وما زادهم ذلك إلا صبراً وتحمُّلاً في سبيل الله ﴾.

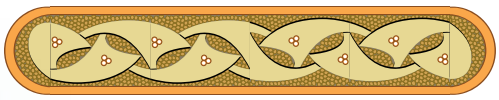

لقد كانت حياتُه ﷺ وحياةُ أصحابِه كلُّها مِحَنا وابتلاء، فصبروا، ثم جاء بعد ذلك اليسرُ من الله سبحانه وتعالى، وجاءتهم الدنيا راغمة، وأورثهمُ الله تبارك وتعالى مُلكَ كسرى وقيصر، ووعدهم بما هو أعظمُ من ذلك كلِّه، وهو نَيلُ رضاه سبحانه، ودخولُ جنتِه التي وعد بها عبادَه الصالحين، وهم أوَّل من ينال ذلك الفضلَ منه سبحانه وتعالى.

إذن!

النصرُ قادمٌ بإذن الله لا محالة، وسيُهزم الكفرُ ولو بعد حين، ولكنَّ هذا النصرَ سيكون للدين الذي يريده الله عز وجل ويرتضيه، كما قال الله تعالى في كتابه:

هذا وعدٌ من الله تعالى لرسولِه صلواتُ الله وسلامُه عليه بأنه سيجعلُ أُمتَه خلفاءَ الأرض، أي أئمةَ الناسِ والولاةَ عليهم، وبهم ستصلحُ البلاد، وسيخضعُ لهم العباد، ولَيُبدلَنهم مِن بعد خوفهم من الناس أَمناً وحُكماً فيهم.

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ **لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ** ﴾[čč]، هم قائمونَ على ما كان عليه الأصحاب، رغم الخلافِ والشقاقِ والصعاب، يعبدون الله كما يرتضي، ويأخذونَ ما يختارُ لهم ويجتبي، بالكتابِ والسنّة هم قائمون، وبنصرِ الله مؤيَّدون، حتى يأتيَ أمرُ الله وهم ظاهرون.

لذا فإن النصرَ والتمكينَ سيكونان لهم بالتأكيدِ كما وعدهم الله، وإن كانوا قِلَّة، حفاةً عراة، لا يملكون الأسلحةَ النووية، ولا الطائراتِ النفاثةِ القوية، ولكنهم ملكوا معيَّة وتأييدَ خالقِ كلِّ هذه الأشياء، وخالقِ البشرية.

بَشرهم بذلك نبيُّهم عليه الصلاةُ والسلام كما جاء في الحديث: عن أُبيِّ بنِ كعبٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ:

﴿ **بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ** [čď]، **بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الأَرْضِ فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ** ﴾[čd]

والحمدُ لله رب العالمين.

الهوامش:

[١] التفسير الإسلامي للتاريخ لمحمد قطب، ص١١١، ١١٢.

[٢] مجموع فتاوى الإسلام (٢٨/ ٣٢)

[٣] ظلال القرآن (٤/ ٢٥٢٨)

[٤] في ظلال القرآن (٦/ ٣٩٦٦،٣٩٦٧)

[٥] في ظلال القرآن (٦/ ٣٣٥٣).

[٦] مدارج السالكين (١/ ٧٤).

[٧] مدارج السالكين (١/ ٥١٧)

[٨] الشيخ عبد الرحمن السعدي وجهوده في توضيح العقيدة، ص١٩١

[٩] رواية لحديث احفظ الله يحفظك عند أحمد (١/ ٣٠٧)، والحاكم (٣/ ٦٢٤)، من حديث ابن عباس.

[١٠] رواه البخاري (٧/ ١٦٥)

[١١] مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٤) حديث رقم (١٠٣٧) عن معاوية رضي الله تعالى عنه.

[١٢] (بشر هذه الأمة) أي أمة الإجابة، فيض القدير (٣/ ٢٠١).

[١٣] أحمد في مسنده (٥/ ١٣٤) حديث رقم (٢١٢٥٨)، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

المراجع:

١. شرح العقيدة الطحاوية، الشيخ الدكتور سفر الحوالي.

٢. تثبيت أفئدة المؤمنين بذكر مبشرات النصر والتمكين، الدكتور سيد بن حسين العفاني.

٣. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، الدكتور علي محمد الصلابي.

٤. مقالات منوعة.

لويس باستور و"التولد التلقائي"

بقلم الأخ: aMiNe: هندسة كيميائية

كانت نظريةُ "**التولد التلقائي**" تدَّعي أن توفُّرَ الظروف المناسبةِ كفيلٌ بانبثاق الحياة وتولُّدِها تلقائيا من المادة الجامدة الميتة!!

فما هي الأدلة التي كانت تؤيدُ تلك النظرية؟ وما هو الخللُ الذي جعل تلك "الأدلة" خدّاعة؟ وكيف دحض العالِمُ (**باستور**) تلك النظرية؟ وكيف بيّن أن الحياة لا تنشأُ إلا من حياة ؟ ...

هذا ما سنعرفه إن شاء الله في هذه المحاضرة التي ألقاها **لويس باستور** في "السوربون"، للتقرير : أن المادةَ الجامدة لا تُنتجُ حياةً ..

وهذه المحاضرةُ منقولةٌ من كتاب:

"Sciences et Philosophie Recueil de textes"

الذي بدوره نقلها من:

"Pasteur Œuvres Complètes Tome II Masson ١٩٢٢ (P. ٣٢٨ et suivantes)" ...

وقد ترجمتها إلى العربية راجيا من الله أن تكون الترجمةُ التقريبيةُ مُوفقةً ومُفيدة.

ملحوظة :

- أضفت الكلمة الفرنسية لأسماء الأعلام و بعض المصطلحات العلمية، بين قوسين ( ) .. لتمام الفائدة.
- ما أضفته بين معقوفتين [ ]، في بعض المواضع : هو زيادة لتوضيح المعنى.

تولداتٌ تلقائية ..

محاضرةٌ أُلقيت في "أمسيات السوربون (La Sorbonne) العلمية"، بتاريخ ٧ أبريل ١٨٦٤.

سادتي ..

هناك مسائلُ كبرى تُثار في يومِنا هذا تجعلُ الأذهانَ [تتساءل] في يقظةٍ :

- وحدةُ الأعراقِ البشريةِ أو تعددُها.
- خَلْقُ الإنسان منذُ بضع آلافٍ من السنينَ أو منذ آلاف القرون.
- ثباتُ الأنواعِ أو تحولُها البطيءُ والتدريجي بعضُها في بعض.
- المادةُ التي تُعتبر أزليةً خارجُها العدم.
- فكرةُ الإله غيرِ النافع.

هذه بعضُ القضايا المتروكة لجدالاتِ الناس في أيامنا هذه.

لا تخافوا أن آتي هنا، مدعيا حل أيٍّ من هذه القضايا الخطيرة. و لكن في الجانب، و بجوار هذه الأسرار، هناك قضيةٌ مُشتركةٌ معها بصفةٍ مباشرة أو غير مباشرة، وهي التي ربما أجرؤ على أن أكلمَكم عنها لأنها مُتاحةٌ للتجربةِ، ومن هنا جعلتُها موضوع دراساتٍ صارمةٍ ودقيقة.

إنها مسألة التولدات المُسماة: تلقائية.

هل تستطيع المادةُ أن تنتظم من تلقاء نفسِها ؟

بعبارةٍ أخرى: هل تستطيع الكائنات الإتيانَ إلى العالم دون آباءٍ وأجداد؟

هذه هي المسألةُ التي تحتاجُ إلى حل.

ولا بُدَّ من القول أن الاعتقادَ بالتولداتِ التلقائيةِ كان اعتقادا سائدا في كل العصور، مقبولا بصفةٍ شاملة في العصورِ القديمةِ، محطَّ نقاشٍ أكثرَ في العصورِ الحديثةِ، و لا سيّما في أيامِنا .. هذا هو الاعتقادُ الذي جئتُ لمحاربتِه.

إنَّ مُدَتَه غير المحدودةِ عبرَ العصورِ، تقلقني قليلا فقط، لأنكم تعلمونَ بلا شكٍ أن أكبرَ الأخطاء يمكن أن يُعدَّ وجودُها بالقرون، ومن ناحيةٍ أخرى إذا كانت هذه المدةُ يمكن أن تَظهرَ لكم كدليل، فيكفيني هنا التذكيرُ بسخافةِ الدوافعِ المزعومةِ قديما لتأييدِ هذا المذهب.

مثلا: هذا ما كتبه **"فان هيلمونت (Van Helmont)"**، طبيبٌ و خيميائيٌّ (Alchimiste) مشهورٌ في القرن السابع عشر:

- **ماءُ نبعٍ شديدُ الصفاءِ، موضوعٌ في وعاءٍ مُشَرَّبٍ برائحةِ الخميرةِ (Ferment)، يتعفنُ ويُولِّدُ ديدانا.**

- **تُنتجُ الروائحُ المنبعثةُ من قاعِ المستنقعاتِ: ضفادعَ، وبزّاقات، وعلقات، وأعشاباً.**

- أُحفُرْ ثقبا في آجرّة، وضعْ فيه عُشبَ حَبَقٍ مسحوقاً، ضعْ آجرة ثانية على الأولى بحيثُ يكون الثقبُ مُغطّى بالكامل، عَرِّض الآجورتين إلى الشمس، وفي زُهاءِ بِضعِ أيام ستُحوِّلُ رائحةُ الحبق، - بتأثيرها كخميرٍ-، العُشبَ إلى "عقربٍ" حقيقي.

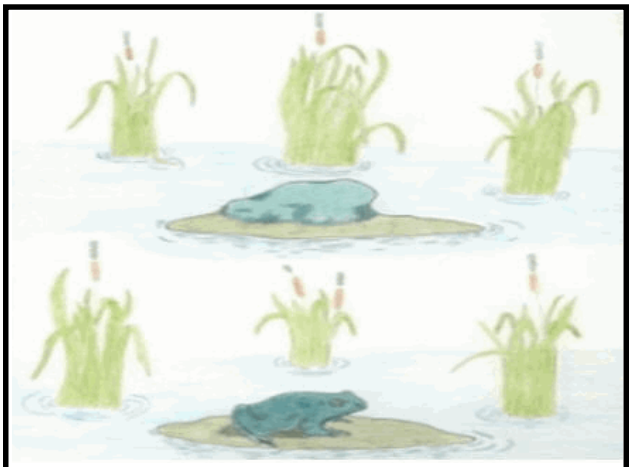

كان أنصار نظرية "التولد التلقائي" قديما .. يعتقدون أن:
الضفادع تنتج من الروائح المنبعثة من قاع المستنقعات !!

و في موْضعٍ آخر - ولاحظوا جيدا، أن التجربةَ التي سأتكلمُ عنها، أكدَّ "فان هيلمونت" (Van Helmont)، أنه قام بها، و سيكون في هذا الدرس، أولُ دليلٍ على أن القيامَ بالتجاربِ أمرٌ سهل، ولكن جعلها "بلا عيبٍ" (irréprochables)، شاقٌ جدا:

- إذا ضغطنا قميصا متسِخا في فتحةِ وعاءٍ يحتوي على حباتِ قمحٍ، فإن الخميرَ المنبعِثَ من القميصِ الوَسخِ، المُغَيَّر برائحةِ الحبوبِ سيؤدي إلى تحوّل القمحِ إلى فئران بعد واحدٍ وعشرين يوما تقريبا.

ويضيف "فان هيلمونت (Van Helmont):

- أن الفئرانَ بالغةٌ، ومنها الذكور ومنها الإناث وأنها تستطيع أن تُنتِجَ نوعَها بالتزواج.

كان أنصار نظرية "التولد التلقائي" قديما .. يعتقدون أن:
(قميص متسخ) + (قمح) + (٢١ يوم) = فئران (متولدة تلقائيا) !!

هذه هي -سادتي- التجاربُ التي أيّدت مذهبَ التولد التلقائي في القرن السابع عشر !

واليومَ لا يوجدُ أيُّ طبيعيٍّ (naturaliste) يعتقدُ بالتولدِ الذاتيِّ لحشرةٍ أو لرُخويٍّ، فضلا عن التولدِ الذاتيِّ لحيوانٍ فِقَري !

ولكنْ في نهاية القرن السابع عشر تمَّ اكتشافٌ كبير، هو اكتشافُ المجهرِ، الذي سيكشفُ للإنسانِ عالما آخرَ: "عالمُ المتناهى في الصغر!" أي الذي لا يُرى بالعين المجردة.

فبالكاد هُزِمَ في ما يتعلق بالكائناتِ العُليا، حتى ظهرَ مذهبُ التولدِ التلقائيِّ من جديد ليقول بجرأةٍ : ها هو ذا مجالي. هذا صحيح، قد كنت مُخطئاً، فالشروطُ الحالية ليست مُناسبةً للكائناتِ العُليا، ولكنها ما زالتْ تنطبِقُ على الكائناتِ المِجهرية، والتولدُ التلقائي موجودٌ عندها.

وبالفعل، شيءٌ غريب، ففي غُضونِ بِضع ساعاتٍ رأينا على "الشريحة الزجاجية" (porte-objet) لهذه الأداة الجديدة الرائعة [يقصد المجهر]، "حُييات" (animalcules) بلا نهاية، لها بساطة تركيب (organisation) أحيانا كبيرة جدا، بحيث تَستبعدُ كلَّ إمكانيةٍ للتولد الجنسي (génération sexuelle).

كانت تلك الكائناتُ كثيرةً و متنوعةً، و غريبةً في شكلِها، وكان أصلُها مرتبطا إلى حدٍّ كبيرٍ بوجود كل مادةٍ حيوانيةٍ أو نباتيةٍ ميتةٍ في طريقِها إلى "التحلل" (désorganisation)، الشيء الذي أوصلنا إلى تلك النظرية الخادعة.

وحيث أنها جِدُّ مُغريةٌ فقد وجدتْ في خدمتِها الأسلوبَ الرشيق، اللامع، التَصويري، المُعترف به، للطبيعي المشهور "**بيفون** (**Buffon**)".

الذي يجب أن أُظهر لكم هي الكائنات المجهرية، حيث بخصوصها، نقول أن التولد التلقائي مُستبعد في أيامنا، و حيث تسليط ضوء التجربة صعب، في الواقع.

ولكن كونوا واثقين .. سأنْفُذُ إليها بعد قليل، ولن تخرجوا من هنا إلا وأنتم مقتنعونَ أن التولدَ التلقائي للكائناتِ المجهرية خرافةٌ، مثلَه مثل التولد التلقائيِّ لديدانِ وفطرياتِ "**بيفون** (Buffon)"، ومثله مثل التولد التلقائي لعقاربَ وفئران "**هيلمونت** (Helmont) "

يتبعُ في العددِ القادمِ إن شاء اللّه ..

gÆĒÖĬöä ĮÊę ÆĒgzQöäş

.. gÆĒÖĬöä
.. ğÌÀÔöäş ŏÀƧɟä
.. ÆĒgzQöä

ȸ3 øäzΣä ĮÊę ȳŸèqä

ȳŸèqÌäż ĞÖŸĬHQţä ÌÀÌÂŘÖöä
ȻÀÎφ ÖəÌèşş ¢ǩÌÀÆØş
gøÀĬŽţä ğÌŦGÎöäş ¢ÖĒGÛǩş
¢ȍzg

øäzΣä ĮÊę ĞΛÀÒÀöä ÆĒŁäØţä ȸ3

ğäøşÀŢş ğäÀşÀΛη
ĞΛÀÒÀöä ÆĒŁäØŧŸö
ğÌÆĐZzȍzΛÆΛqäş ĞΛåÌţä
gÀÒÌÀĬĬţä

ğäøäzΣä ĮÊę ĞÒÀĮä

.. åÆƨä ktŸÊŧŸö ĞÒÌàn ğäøäzg
ŗ ƷĒŘäzţä .. ğÌŦGÎöä āÌÀHÙÒÜ şÜ
gøäåqäş ţzŘzţä ÆgÌÒ ŗÜ ÌŁäÀΛ
øäzHÙŸö ȷzHÙÌÀţäş

www.eltwhed.com

جميع الحقوق محفوظة لموقع منتدى التوحيد، لتواصلكم واقتراحاتكم زوروا منتدانا